

مطبعة
السياسة

قطاع الثقافة

نعمون



نحب ونطامس



ثروت أباطة

أحمد دقش

□ نفوس من ذهب و نكاح



ثروت أياكة

□ قطاع الشفافة



□ مطبوعات اعضاء اليوم

■ رئيس مجلس الادارة :

ابراهيم سعدة

هى قصة ذات عروق بعيدة فى اغوار الزمن. لست بطلا من أبطالها ولكننى احب ان احكيها.. كيف احكيها وانا لست واحدا من أبطالها.. هل يهمك كثيرا ان اكون من أبطالها مادمت سأرويها لك.. لن أقول لك انها من واقع الحياة. فلا احب ان اكون سخيفا إلى هذا الحد. ولكننى فى الواقع لست أدرى إن كنت أنت تحب الرواية من واقع الحياة أم من واقع الخيال. يقول الروائيون إن أهم شيء فى العمل الفنى أن يكون مقنعا ولا يهم من بعد المصدر الذى يصدر عنه. ولكن الحياة حين تؤلف لا تحاول أن تقنع. إنها تؤلف وتنفذ مؤلفها على الحياة وعلى صلات الناس بعضهم ببعض. وعلى بدايات حياتهم وعلى نهايتها ولا يعنىها فى شيء أن تكون مقنعة أو غير مقنعة للناس.. الناس جميعا فى كل مكان شهود فى كل قصة. وأبطال فى كل قصة. وقد تلهيهم الأحداث عن محاولة الفهم. وقد يفكرون. والذين يفكرون هم الأغبياء لانهم لن يبلغوا من تفكيرهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من طمأنينة. بل هم سيزدادون

حيرة وقلقا. بل قد يزدادون سخطا وتبرما ولا تعنى الحياة فى كثير أو قليل بحيرتهم أو قلقهم أو سخطهم أو تبرمهم.
تجرب فيهم وما يعلمون.
كتجربة الطب فى الأرنب

ولكن هل تجرب فيهم الحياة حقيقة كتجربة الطب. إن الطب حين يجرب يحاول أن يصل إلى نتيجة معينة من تجربته. فإلى أى نتيجة تحاول أن تصل الحياة؟ يبدو أننى سأصبح غبيا كهؤلاء الذين يفكرون.. عادة ساذجة. عادة التفكير هذه.. وكلما ازداد التفكير عمقا يكون صاحبه أكثر ساذجة.. فالأذكاء وحدهم هم الذين يعرفون أن لا أمل أن يصلوا بتفكيرهم إلى نتيجة مؤكدة. واضحة المعالم. ولكن هناك أنواعا من التفكير لا بأس بها.. منها ذلك التفكير الجاد الخطير الذى كان يستغرق راشد بك برهان وهو جالس بمكتبه الضخم فى سرايه الواقعة بشارع خيرت..

كان راشد بك يريد أن يسافر إلى أوروبا وهو يبحث عن مواعيد السفن المسافرة. وهو حريص على أن يسافر على أول باخرة.. فقد تشوق إلى باريس وإلى أصدقائه هناك. ولست فى حاجة إلى ذكاء لتعلم أن هؤلاء الأصدقاء إنما هن صديقات. ولكن الحشمة تحتم أن نكتبها أصدقاء. إنهن كثيرات هؤلاء الأصدقاء..

كان اليوم هو السبت وقد وجد راشد بك سفينة فى طريقها إلى مرسيليا فى يوم السبت الذى يليه. وكان لابد له أن يبلغ السيدة والدته عن هذا السفر حتى تشرف على تجهيز ملابسه. وترى ما الذى يحتاج إليه قبل أن يسافر. وكان لابد له أيضا أن يستقل القطار إلى التفتيش ليلقى نظرة نهائية على حسابات الزراعة ويأخذ ما حصله حمزة أفندى البلاشوتى من إيراد الأرض.

□ نفوس من ذهب وفضة

وقام راشد بك إلى والدته وراح يصعد السلم إلى الطابق الأعلى فى هدوء وفى تفكير عميق. كان السلم يفضى إلى بهو عريض شامخ الأعمدة عميق الفخامة تقوم فيه الأرائك الضخمة عليها القطيفة المزركشة القادمة من جنوا. وكانت والدته قد أنشأت لنفسها فى هذا الطابق غرفة للجلوس تستقبل فيه صديقاتها. وكانت أمه جلفدان هانم تحب أن تجلس فى هذه الغرفة حتى وإن لم يكن لديها صديقات تستقبلهن. وهكذا لم يكن راشد بك محتاجا أن يتخلى عما يفكر فيه ليتجه إلى الغرفة. إنما هو يقصد إليها دون ومضة من تفكير..

إنه يعلم أنه سيفتح الباب وسيراها فى كرسيها الكبير المجاور للمرأة التى تواجه الباب. يعلم ذلك ولم يفكر فيه.. لقد كان مشغولا بما يحتاج إليه من نقود فى باريس وبما سيجده عند حمزة أفندى البلاشونى ويفتح الباب. أمه بجانب المرأة. والمرأة مازالت تواجه الباب ولكن... ما هذا الجمال الذى يقف بجانب صورتى فى المرأة.. من هذه؟ كيف لم أرها قبل اليوم. وكيف كان يمكن أن أراها. طبعا سترقع اليشمك إلى وجهها. لقد بقيت العينان.. تكفينى العينان.. جمال الدنيا كلها فى هاتين العينين. لم يحس راشد بك بالأعين الأخرى التى تعلقت به. ولا أحس بعينى أمه التى أدهشها وقوفه بعد تأكده من وجود حريم معها. لم يحس شيئا من هذا وإنما ظل رانيا إلى العينين اللتين تطلان من فوق اليشمك. وطالت به الوقفة حتى اضطرت الأم آخر الأمر أن تقول:

- فيه حاجة راشد بك؟

وانتبه راشد بك فجأة لينحنى قائلا وهو يقلق الباب:

- عفوا هانم أفندى.

ويعود إلى مكتبه. ويجد جدول البواخر ينتظره فيطويه فى هدوء ويضعه فى الدرج الأسفل من مكتبه. ويمد رجله على المكتب ويزيح



□ نفوس من ذهب و نیکار



□ نفوس من ذهب و نبال

طربوشه إلى الوراء ويستغرق مفكرا في لا شيء

* * *

حين يسمع أقدام السيدات تعبر فناء السراى يقف إلى الشباك وينظر إليهن وهن يركبن العربة التى تجرها أربعة خيول مطهمة. ولم يلتفت إلى العربة ولا الخيول. وإنما تثبت نظره على التى تسير خلفهن جميعا. فلم يكن يشك لحظة أنها أصغرهن. وأنه لابد لها أن تكون خلفهن جميعا.. إن قوامها أكثر جمالا من عينيها.. أكان لابد أن يكون لهذه السراى سلم للحريم وآخر للرجال.. كنت أريد أن أراها عن قرب.. وماذا ينفع القرب. إن جمالها لا يحتاج إلى كثير من امعان النظر.. إنها جميلة.. أو هى فاتنة لاشك فى ذلك. ولكن ماذا يمكننى أن أفعل.. أخطبها.. هكذا مرة واحدة. وماذا يمكن أن أفعل غير هذا..

- هانم أفندى.

- إنها ابنة عثمان باشا فكرى.

- لا يفوتك شيء.

- وقفنك أمام الباب كانت طويلة.

- عيناها.

- نعم جميلة.

- أنت موافقة.

- لا مانع.

سكت راشد بك ولم يسأل أمه عن شيء.. وعم يسأل.. ابنة عثمان باشا فكرى.. الأمر اذن لا يحتاج إلى سؤال.. أما ثروته فمعروفة. كانت ألفى فدان بقى منها بضعة فدادين بعد البذخ الذى كان يعيش فيه. راشد بك لا يحتاج إلى مال. فثروته لا يحصيها العد. وإن كان هو يجيد احصائها ويعرف كل خافية منها.. وعثمان باشا رجل ذو مكانة مرموقة

□ نفقش من ذهب ونحاس

فى الحياة المصرية. ولاشك أنه تولى ابنته بالتربية المعهودة. فهى تجيد التركية والفرنسية وعزف البيانو واختيار الملابس واستقبال الناس وتنسيق الأثاث وإعطاء الأوامر للخدم.. ولا داعى إذن للسؤال. ولكن أمه.

- لم تسأل عن خديجة؟

- اسمها خديجة؟

- يقولون إنها متحررة فى آرائها.

- كم عمرها؟

- بينك وبينها خمس عشرة سنة تقريبا.

- أنا لست كبيرا..

- ولست صغيرا.

- ست وثلاثون سنة اكتمال الرجولة.

- وعشرون سنة بداية الأنوثة.

- ولكنها ابنة عثمان باشا فكرى.

- الأنوثة لا شأن لها بعثمان باشا فكرى.

- ما رأيك؟

- لن نجد خيرا منها.

- فلماذا إذن المناقشة؟

- أريدك أن تعرف.

- إذن؟!

- أخطبها لك.

□ نفوس مر ذہب و نکلہ



المفروض أن أروى لك فى هذا الفصل موقف خديجة من هذه الخطبة. ويمكن أن أروى لك هذا الموقف بطرق عدة.. فمثلاً أستطيع أن أقول إن خديجة كانت تحب ابن خالتها عزت بهادر الذى نشأ معها منذ الطفولة الأولى. وكان يقاربه فى السن. ومادمتنا نتكلم عن هذه الطبقة من الناس فالمفروض أن أقول لك أنه يهوى ركوب الخيل ويجيده. وأنه طلق اللسان - بالفرنسية طبعاً - وأن لغته العربية لا تكاد تستقيم. وأنه ممشوق القوام. تافه العقلية. لا يفكر إلا فى إتفه الأمور وأسخفها. وأكون بذلك سائراً وراء كل من كتب عن هذه الطبقة.

أو كان من الممكن أن أقول لك مثلاً أن عثمان باشا فكرى دخل إلى ابنته فقال لها.

- أبشرى يا خديجة.. عندي لك أعظم خبر.

- صحيح يا بابا؟

وطبعاً حين تقرأ باباً لآبى لك أن تشد البائين. فهكذا تنطقها ممثلات السينما فى أفلامنا العربية.. نرجع الآن إلى الحوار الذى كان من

المفروض أن أقدمه إليك.. يقول الأب وقد تهال وجهه بالفرح:

- جاءك عريس لا مثيل له فى مصر.

وهنا كنت سأحتار كيف اكمل المشهد... هل ستطرق خديجة فى حياء؟

أم تراها كانت ستقول.

- من؟

وعلى الحالين كان عثمان باشا يقول:

- راشد بك برهان.

وكنت سأحتار أيضا. كيف تتصرف خديجة بعد هذا. هل كانت

ستسأل أباه عن العريس وأحواله جميعا من شكل وعمر.. وطبعا لا

داعى للسؤال عن الشهادة أو الثقافة. فقد كانت هذه الأشياء فى ذلك

الحين بعيدة عن مجال السؤال عند السيدات. وتوشك أن تكون كذلك

عند الرجال أيضا.

أم تراها كانت ستطرق حياء وخجلا وتقول الجملة التى لم يستطع

كاتب حوار أن يغير منها شيئا على طوال السنين.

- اللى تشوفه يابابا.

ولعلى كنت سأخرج من هذه الحيرة بوسيلة أكثر يسرا وأقرب إلى

منطق الأمور فأجعل خبر الخطبة ينتقل إلى الابنة عن طريق أمها. وأنتهز

هذه الفرصة لأقدم إليك كل ما لم تعرفه بعد عن راشد بك برهان على

لسان الأم.

ولكن ما العجلة فى تعرفك على راشد برهان. ولماذا لا تتكلم عن

خديجة قليلا.. فأنت لم تعرف عنها إلا أن عينيها جميلتان. ولكنك أنت لم

تعرف مثلا. أن قوامها فارغ رشيق لا تطغى عليه نحافة. ولا يفرط عليه

سمن، وهى ذات شعر ناعم أطلقت عنانه.. هدر على كتفها فى عريضة

طاغية. وجبينها عريض فيه ذكاء. وعيناها اللتان عرفت أنهما جميلتان

فيهما جراحة. وفيهما تطلع إلى المستقبل فى وثوق الذكى. وفى فتور الأنثى. وانفها دقيق مائل قليلا إلى الخد الأيمن. هذا الميل يراه بعضهم جمالا ويراه بعض آخر عيبا فى جمالها الفاتن.

وإن كنت من الذين يحبون أن يوصفوا بالمتقنين فلعلك تحب أن تعرف شيئا عن ثقافتها.. قرأت كورنى وراسين وفولتير وهيغو وفلوبير وروسو. حتى اعترافات روسو قرأتها وقرأت شكسبير مترجما. وقرأت ديكنز وهاردي وتولستوى ودستوفسكى.. أظنك عرفت الآن أنها كانت تحب القراءة. وكانت تعبد الشعر. فقد كانت تحفظ روايات كورنى وراسين جميعا وتحفظ كثيرا من شعر هيغو. ولم تكن تميل كثيرا إلى مضحكات مولير..

كانت القراءة عندها هى الوسيلة التى تفتح لها النافذة على عالم لم يكن من الممكن أن تخالطه أو تندمج فيه.. فقد كان الحريم جزءا منفصلا عن المجتمع فى ذلك الحين.. يحركه من داخل البيوت ولكنهن لا يشاركن فى حركاته.

وكانت خديجة - شأن كل فتاة - تعرف أنها ستتزوج فى يوم من الأيام. وكانت تعتقد أنها ستتزوج رجلا مثقفا تستطيع أن تشترك معه فى أحاديث طويلة عن الشعر والأدب. وكانت الخشية تخالجها أن يكون هذا المثقف ذا ثقافة عربية وانجليزية. وليس ذا ثقافة عربية وفرنسية. فالمثقفون فى ذلك العهد كانوا جميعا يجمعون إلى العربية ثقافة أجنبية أخرى.

ولم يكن الغنى فى ذاته أمرا ذا بال عند خديجة. فالغنى عند الأغنياء شئ مفروض يعتقدون هم أنه طبيعى.. يصاحب التكوين البيولوجى لأجسامهم. فالمال عندهم شئ من المقرر وجوده كما يوجد لها عيناى وأنف وشفتان ولكن الثقافة هى التى كانت نادرة الوجود. فإذا وجدت

فهى عميقة راسية الأصول بعيدة الأغوار. وقد كانت خديجة لا تتصور أن يكون خطيبها غير مثقف. ولم يكن تفكيرها هذا مجافيا للصواب. فإن والدها الذى أتاح لها هذا التثقيف لا يقبل أن ينالها شخص لا يقف مع ما بلغته من دراسة على درجة واحدة. فإن تفاوتت الدرجة فليكن هو فى العليا لا فى السفلى. وهى فى سذاجتها الثقافية نسيبت أن للمال عند الأغنياء نداء ولغة يفهمونها جميعا دون اتفاق بينهم. فمن الطبيعى ألا يتزوج الغنى إلا ذات ثراء. ومن الطبيعى أن يسارع الثرى بقبول الغنى خطيبا لابنته.

وهذا الاتفاق غير المكتوب بين الأغنياء يتضمن أن كل شىء غير الثراء يمكن اغتفاره أو تجاهله.

وهكذا لم يكن عجيبا أن يقبل عثمان باشا فكرى خطبة راشد بك دون ريث من تفكير. وخصوصا أنه أصبح غنيا سابقا. ولكنه مازال يحمل اللقب «غنى».

ومن الطبيعى أيضا أن تقبل خديجة الزواج. فهى تعلم أنها نهاية محتومة لحياة البنت فى بيت أبيها. أو بداية محتومة لخلية جديدة من الحياة.

والاسم الذى تقدم لخطبتها اسم ش. ر فى عالم الثراء. وليس شهيرا فى عالم الثقافة. فقد كان المجتمع فى ذلك الحين لا يلقى ستارا من التجاهل على أى مهتم بالثقافة. فلو كان على جانب منها مهما يكن ضئيلا لذاع صيته. بل إن الحياة كانت تتيح لمن يهوى شراء الكتب أن يصبح شهيرا فى عالم التثقيف حتى وإن لم يقرأ هذه الكتب. وقد كان أغلب هذا النوع من الهواة يكتفى من الهواية بالشراء دون القراءة. القراءة لها ناس.. وشراء الكتب له ناس آخرون. والذين يقرأون لا يهمهم مطلقا طريقة الطبع التى يهتم بها الشراؤون. كل ما يعنى أهل القراءة أن

□ نفوس من ذهب و نكاح

تكون الحروف واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض. وقد يكون هذا الوضوح فى ذاته سببا فى رخص الكتاب لا فى غلو سعره. ولا تنتظر منى أن أفيدك كثيرا فى الشروط التى لابد منها ليكون الكتاب تحفة أثرية ذات شأن. فأننا من ذلك النوع الساذج الذى يحب أن يقرأ ولا يهمه أن يقتنى.

على أية حال لم يكن راشد من القراءين أو الشرانين المدمنين وإن كان ملما بكثير من الكتب. وكان غنيا مدمنا للغنى. وإن كانت خديجة فى آمال اليقظة وأحلام النوم ترجو أن يكون زوجها مثقفا يحب كورنى وراسين أو المتنبى وشوقى على الأقل إلا أن هذه الآمال وتلك الأحلام لم تكن شروطا أساسية فى اختيار رجلها. فقد كانت ثقافتها تتيح لها قدرا من الذكاء تعرف به أنها هى لا تملك من حرية الاختيار القدر الكافى الذى يسمح لها أن تضع الشروط. ولو توافرت هذه الحرية فما كانت لتجعلها تضع هذه الشروط. فهذه الآمال والأحلام لم تكن إلا خواطر تهفو إلى النفس أو تهفو إليها النفس. ولكن خديجة تعلم كل العلم أنها أمل لا يزيد. أو حلم مصيره المؤكد التيقظ على الحقيقة.

وهكذا أعفتنى خديجة من الحيرة التى خشيت أن تتولانى أمامك فى بداية هذا الفصل ولم توجه إلى أبيها إلا سؤالا واحدا:

- هل أنت راض عنه؟

- وأين أستطيع أن أجد مثله؟

- أمرك أذن.

لم تسأل كم عمره. فالمجتمع لم يكن قد أتاح بعد للفتاة أن تسأل عن عمر زوج المستقبل. وإذا كانت امتنعت أو منعتها التقاليد أن تسأل هذا السؤال الطبيعى المعقول. وهى أيضا لم تكن تحب ابن خالتها عزت فالطرق إذن جميعها مغلقة دون أى أسئلة أخرى. بل لعلها لم تكن تحتقر



أمامك فى بداية هذا الفصل ولم توجه إلى أبيها إلا سؤالاً واحداً:

- هل أنت راض عنه؟

- وأين أستطيع أن أجد مثله؟

- أمرك اذن.

لم تسأل كم عمره. فالمجتمع لم يكن قد أتاح بعد للفتاة أن تسأل عن عمر زوج المستقبل. وإذا كانت امتنعت أو منعتها التقاليد أن تسأل هذا السؤال الطبيعى المعقول. وهى أيضا لم تكن تحب ابن خالتها عزت فالطرق إذن جميعها مغلقة دون أى أسئلة أخرى. بل لعلها لم تكن تحتقر أحداً فى حياتها قدر احتقارها لهذا العزت. فهو فراغ تجسم فى هيكل انسانى. يعنى كل العناية بشاربه وشعر رأسه. ولكنه لا يبذل أقل عناية برأسه هذا من داخله. فإن رأيت تمثالا. وإن حادثته وجدت التمثال خيرا منه.

فأنا اذن لا أستطيع أن أقيم عقبة من أى نوع تمنع زواج خديجة من راشد.

وتم الزواج.



لو كان المتزوج احدا آخر غير راشد لكان من الطبيعي ان يكون شهر العسل فى مصر. ولكن راشد يحب ان يذهب إلى أوروبا ويحب ان يبهر زوجته بالحياة الباذخة التى يعيشها. والفتاة على ثقافتها فى بواكير العمر ومطالع الحياة. فهى برغم يريده راشد ان يتفتح على يديه. وهو صاحب الخبرة الواسعة عن الورود التى لا تعرف الذبول. ولا يدركها ما يدرك الورود من شحوب.

يريدها امرأة كاملة العالم: يدعو إلى بيتها كبار الناس. فيبهرهم من بيته غنى وافر. يصاحبه الذوق الرفيع. وهو يعلم منها أنها فى بيت أبيها كانت تهتم بالكتاب. ولكنه أيضا كان يقدر أن التى تهتم بالكتاب تستطيع أن تهتم بكل شئ. وهو يراها فى حجرة نومه امرأة ناضجة خبيرة عالمة بما يرضيه. ويطمئن غرور الرجل فيه ونزوته فى وقت معا.

وهو يريدها اذا ذهبت لمجتمع من النساء أوقعت فى نفوسهن الحسرة والغيرة أو الاعجاب والاكبار. ويريد منها أن تكون نموذجا للأناقة. طراز عجيب راشد. فهو قد نال من التعليم المنتظم قدرا ربما اعتبره

□ نفوشر من ذهب ونلكر

البعض ضئيلا. وخرج بعد ذلك إلى الحياة. فإذا هو يصاحب الحياة صحبة عميقة لبقية، ويوغل فيها أيقالا رفيقا فى بعض الأحيان، وفيه عنف شديد فى بعض آخر من الأحيان.

عرف الناس من كل متجه من متجهات الحياة، ودرس من القانون ما يعنيه من القانون، فإذا هو يفوق عتاة المحامين ومشاهيرهم، وضارب فى بورصة الأوراق المالية والقطن فانسكب عليه المال يزيده غنى، وأصبح راشد شخصية مرموقة فى المجتمع المصرى تضطر الأنظار أن تلتفت إليه. فلم يكن التعليم المنتظم هو المصدر الوحيد للثقافة فى ذلك الحين. بل إن المحامين كانوا يعملون بغير شهادة من الحقوق فى ذلك الزمن. وقد اختار راشد من الثقافة ما يرى أنه يحتاج إليه. ولهذا لم يكن عجيبا أن يتقن الفرنسية لا ليقرأ بها كورنى وراسين، وإنما ليقرأ بها العقود وليضارب بها فى البورصة، وليجذب بها الأصدقاء من الفرنسيين، وتعلم الانجليزية واتقنها، ولكن شكسبير وملتن وهاردى وديكنز كانوا لا يعنون عنده شيئا إلا أسماء يرددها على مسمع الانجليز الذين يتعرف عليهم.

قد كان نوع الثقافة التى يتمتع بها راشد من فصيلة أخرى بعيدة كل البعد عن تلك الثقافة التى اتقنتها خديجة، حتى لنستطيع القول فى ثقة إنه من الطبيعى أن كلا منهما كان يعتبر الآخر غير مثقف.

وراشد يعتبر الحياة عملا ومتعة، وهو يمازج بينهما فى مقدرة بارعة، فلم يكن عجيبا أن يصحب زوجته إلى باريس. كان راشد يريد أن يستغنى بزوجته عن كل نساء العالمين، ولهذا كان يريد فيها كل نساء العالمين.

لم تكن خديجة تتصور أن ترى هذا الذى رآته فى فرنسا. وكان أبعد شىء عن ذهنها أن ترى هذا الذى رآته مع زوجها بالذات. فالأيام القليلة التى قضتها معه فى بيته فى مصر طالعته منه مهابة لم تر فى حياتها

□ نفوس من ذهب ونخل

رجلا يتمتع بها. فحديثه أمر وإن تسريل بالرجاء، ورأيه نهائى وإن تزيد بالتواضع. نوع من المهابة لا يعرفه إلا صاحب المهابة الكبيرة التي تجعل صاحبها كبيرا.

وفى الباخرة إلى باريس.

- تعرفين اننى عشت سنوات بلا زواج؟

- نعم.

- كان طبيعيا أن أعرف نساء أخريات.

- مادام قبل الزواج فهذا شأنك.

- طبعا أنا لا استأذن منك عن شيء صنعته فى الماضى.

فلماذا تخبرينى؟

- لا أريد أن أخفى عنك أولئك اللواتى عرفتهن فى فرنسا.

- أتريدهن أن يكون صديقات لك وأنت متزوج؟

- اسمعى يا خديجة، أنا فى صداقاتى الفرنسية لم أكن أعرف إلا

فتيات الملامى.

- إذن.

- أنا أريد متهن أن يكن تسليتك فى فرنسا.

- إذن.

- سنذهب إلى الأماكن التى يرقصن فيها وسيقبلن على وقد يقبلننى.

- يقبلنك.

- وماذا يهمك؟

- لا أريد.

- كنت أستطيع أن أخفى عنك هذا وأذهب بك إلى أماكن أخرى.

وأزورهن دون علمك.

- لا بأس فلنذهب إليهن.

□ نفوس هو ذهب و نخل

- سيصبحن أداة تسلية لك.

- أنت عندى الآن كل نساء العالم، وستجدين أنك عندى كل نساء العالم، وأنا لا أحب أن أعد بأشياء سأنفذها، فانى أحب أن يكون التنفيذ هو الوعد وتحقيقه فى وقت معا.
وكان عند الوعد والتنفيذ.

ورأت فرنسا. رأت منها باريس وغير باريس.

كانت فى خيالها مسرح أحداث الروايات ومعانى حب وحدائق هوى ونسمات قصص لبلزاك ودودييه وفلوبيير وغيرهم، وكانت فى أحناء خيالها رؤى مجنحة لا يحيط بها تعريف واضح.. كانت تبدو فى خفى الوعى منها أحلاما. يشملها ضباب، فهى بلا وضوح وتكسوها أستار شفيفة، فهى فى نفسها عميقة ولكن بلا معالم موجودة ولكن بلا تثبيت، سماوية أحيانا لعويا أحيانا أخرى، أو أرضية مسرفة فى عمق الواقع لما صنعه بها زولا وفلوبيير وستندال والآباء الأرائل للواقعية.

ثم رأتها وغاص بها زوجها فى عميق حناياها، فازداد فى عينيها جمالها ولم ترفض نفسها الواقعية فيها. فهى واقعية إن أسرفت فى الفجور فهى تعنى فى الوقت نفسه بتجميل هذا الفجور حتى يصبح نوعا من المتع البشرية التى تلتئم مع طبيعة الحياة فى باريس، لا ترفضها باريس ولا من يزور باريس حتى اذا خرجت عن باريسها هذه أصبحت تهتك تعافه النفس وترفضه وتحقر كل من يلم به.

رأت الغوانى التى كن صويحبات زوجها، وقبلن زوجها أمامها فلم تحس لذعة غيرة قبلهن.

لم تحس أن اللواتى يقبلنه نسوة عرفهن، وإنما أحست أن ماضيه هو الذى يقبله، وكانت قد بدأت تحب زوجها فهى تحب أن يرضى عنه ماضيه كما يرضى عنه حاضره، وكما ترجو أن يرضى عنه مستقبله.

□ نفوثر من ذهب و نكاح

والغريب أن فتاة منهن طلبت أن تجلس معها فى جلسة خاصة، كان قد أحسست من لقاء هذه الفتاة بزواجها أنها أقربهن إليه.

وقالت لها الفتاة عجباً:

- أنت زوجته؟

- نعم.

- حقاً؟

- وأى عجيب فى ذلك؟

- أردت أن أتأكد.

- أنا زوجته.

- أتعرفين كيف يظل زوجك؟

- أعرف كيف أخلص له.

- هل أنت سخيقة إلى هذا الحد؟

- هل الاخلاص سخف؟

- الاخلاص مفروض، لا يحتاج الرجل أن يكافئ زوجته عليه.

- ماذا؟

- طبعاً أنت مندهشة أن تسمعى هذا الكلام منى.

- لا.. أبداً.

- بل أنت مندهشة.

- لنفرض.

- اسمعى.. لقد كنت فتاة زوجك فى فترة من الفترات.

- ربما أدركت ذلك من لقائك به.

إن ما نصنعه فى الكباريه ليس هو الحب، إننا حين نحب لا نهب

الحب إلا لواحد، وكان زوجك يغيب عنى فترات قد تصل إلى سنة، و

ذلك لم أكن أهب حبى لأحد طوال فترة غيابه.

□ نفوس من ذهب و نخل



□ نفوس من ذهب ونحاس

- ولكن.. ؟

- إن ما نهبه للزبائن إنما هي أجسامنا فقط. أفهمي ما أقول.. أنا
أتكلم عن الحب.

- متى كان هذا؟

- لم تتقلب على واحدة من زميلاتي.. أنت فقط التي تغلبت على.

- أتكريهينى؟

- لم يكن من الممكن أن يتزوجنى فهو شرقى وأنا أعرف ظروفه.

- أشكرك.

- أتعرفين كيف تحافظين عليه؟

- ربما.

- إن لم تكن لك بضاعة إلا الاخلاص، فأغلب الأمر اننى سأستقبله قبل
أن تمر على زواجكما بضعة أشهر.

- الواقع أن هذه هي البضاعة الوحيدة التى أعرفها.

- إذن فسأعلمك.

وعلمتها...

لقد رأت باريس وتعلمت فى أهم جامعات الحياة على أعظم أساتذة
الحب والمتعة ومعرفة الرجال.

ولم يكن ما رآته من باريس وحدها هو حصيلة علمها. إنما ما رآته من
زوجها كان أعظم، هذا الرجل المهيب الذى سمعت عنه فى فترة الخطبة
أن رجال المال العتاة لا يخشون أحدا فى البورصة قدر خشيتهم منه.
هذا الرجل الذى استطاع بهيبته الذكية الخارقة الذكاء أن جعل حمزة
البلاشونى وكيل أعماله فى الدائرة الزراعية رجلا فى غاية الأمانة. كان
هذا الوكيل كما سمعت عنه يقول أن الانسان حين يسرق أى صاحب
مال يعرف أنه قد يفصل من عمله، فإن كان صاحب المال قاسيا غاية فى



□ نفوشر من ذهب ونفاله

القسوة فقد يذهب به إلى السجن. أما مع راشد بك فلا يعرف أى مصير ينتظره، فهو خليق أن يصنع به كل ما لا يتوقعه أحد.

راشد هذا ينكشف فى ملاهى باريس عن هذا الشخص الذى يستطيع فى مقدرة فائقة أن يجعل كل لحظة معه متعة حتى يصبح الجالسون والجالسات جميعهم وجميعهم مغمورين فى فترة من الحياة مليئة بالحياة، تلفهم سعادة غامرة تزلزل أعماق أعماقهم فيزداد غوصهم فى لحظاتهم لا يريد أحد منهم أن يفكر فيما كان يصنع بأمره، أو فيما قد يصنعه به غده. وراشد هو روح هذه الغمرة الطاغية من الامتاع، وهو الينبوع، أو هو إن شئت الشلال الهادر بالاسعاد، وهو فى الوقت نفسه يستطيع أن يجعل كل فرد من الموجودين يعتقد أنه هو لا راشد سبب هذه السعادة وهذا الامتاع. كيف استطاع هذا الرجل المهيب أن يكون خبير متعة لا يدانيه فى خبرته المتخصصات من فتيات الملاحى فى باريس أو أصحابهن.

وتومض فى ذهن خديجة فكرة تعمل فيها النظر وتوشك أن تؤمن بها، إن معرفة الانسان كيف يكون سعيدا وكيف يعتصر لحظات السعادة اعتصارا لا يبقى من رحيقها على قطرة، موهبة لا تتأتى إلا لعبقري يعرف كيف يعيش.. ويعرف من مسالك الحياة فى جدما ولهوها ما لا يعرفه أبناء الحياة مجتمعين.

والذى لا تعرفه خديجة أن راشد ترك فى مصر مشكلة يضيق بها أشد الضيق تهدد قدرا من ماله، ولكنه مع ذلك أقنع نفسه بأنها مسألة هينة ميسورة وأنها لا تستحق حتى أن يؤخر سفره من أجلها. لقد اغتلاه صديق له فى عشرة آلاف جنيه.

والذى لا تعرفه أيضا أن سبب اغتيال صديقه لهذا المبلغ هو زواجه منها ومعرفته لسيدة من سيدات مصر لها أهمية كبرى فى المجتمع

□ نفوس من ذهب ونحاس

المصري. والذي لا تعرفه أيضا أنه فجع فى صديقه وفى ثقته به فجعية إن لم تزد على فجعية المال فهى تستوى معها.

ولكن اهذا الحديث يناسب لحظات المتعة التى يعتصرها راشد ويسقيها صرفا غير مشوية لزوجته الحبيبة خديجة. سننسى كل هذا الذى يضيق به راشد ونتيح له ما اتاحه لنفسه من شهور صاخبات بالهناء فى ربوع فرنسا جميعا.

وعرفت خديجة عن زوجها شيئا لم تكن تتوقع أن يتخلق به. فهو لا يلعب القمار مطلقا. قد يشرب مع الشاربين ولكنه لا يقرب مائدة القمار. - ولكنه تضارب فى البورصة.

- البورصة خبرة وبعد نظر مالى ولا يصاب فيها الانسان إلا اذا حدثت أشياء لم تكن فى الحساب، ولكن القمار تسليم أموالى كاملة ليد غير أمينة ولا مخلصه ولا صديقة وهى أيدى الحظ. أنا لا أقبل هذا لكرامتى ولا لثقافتى ولا لعقلي.

- فهل المقامرون جميعهم أغبياء؟

- بل إن كثيرا منهم أذكاء.

- فمالهم يقامرون؟

- لقد أخطأوا الطريق إلى المتعة فتمسوها على مائدة القمار، أما أنا...

- لا تكمل.. لقد رأيت.. نعم إن أحدا لا يعرف طرق المتعة كما تعرفها أنت.

- ولكن هناك شيئا لم تقله.

- وهو؟

- وهو أننى مع كل هذه المتع ظلت لا أهب نفسى إلا لك.

- وهذا حق أيضا.





لماذا يتوقف العقل عند بعض الناس وينصرفون تصرفات حمقاء مع أنهم من ذوى العقل الراجح الذى استطاع أن يمكن لهم وينزلهم منزلة محترمة عند الناس.

لو أن أحدا سأل زكريا باشا حسام الدين على سبيل الاستشارة: ما رأيك فى زيجة الزوج فيها فات الخمسين منذ ست سنوات، وهو يحث الخطى نحو الستين، والزوجة فيها تمشى الهوينى إلى العشرين من عمرها لم تكملها؟ لكان جوابه متسما بالعقل والرزانة وبعد النظر. فالمسألة لا يختلف فيها عقلان على شىء من الرجاحة أو على الأقل لا ينعمان بالغناء الشديد.

ولكن العجيب أن زكريا باشا حسام الدين هو نفسه تزوج الأنسة سهير ممدوح كريمة ممدوح عزت باشا، أما زكريا باشا فهو مستشار فى محكمة الاستئناف عرف بعلمه الواسع بالقانون، بل عرف أيضا بحبه للأدب، وكثيرا ما كانت أحكامه قطعا أدبية يتغنى بها المحامون خاصة إذا صدر الحكم فى صالحهم. وهو موسع عليه فى الرزق واسع الأفق عميق النظرة ولهذا لم يكن عجيبا أن يصبح وزيرا، وقد سر بهذا

□ نفوثر هو ذهب ونبل

لأنه كان يفكر منذ زمن أن يترك القضاء الجالس إلى القضاء الواقف. ولعله فى ذلك تأثر بالقصة التى تروى عن أحد مشاهير المحامين فى فرنسا، وكان ابنه يعمل فى القضاء، وكانت سمعة ابنه أيضا عظيمة. فقد عرف عنه أنه من أحسن القضاة. وفى يوم سأل أحد الصحفيين المحامى:

- لماذا تعمل أنت فى القضاء الواقف، بينما يعمل ابنك فى القضاء الجالس:

فأجاب المحامى الذكى:

- لو استطاع ابنى الوقوف ما جلس.

وأغلب الأمر أن الأب كان يريد ابنه أن يعمل معه فى المكتب الكبير ليظل محتفظا بمكانة المكتب بعد وفاته، والراجح أن الابن كان يفضل العمل فى القضاء بطبيعة مواهبه. أيا ما كان الأمر فالمؤكد أن زكريا باشا تأثر بهذه القصة وأراد أن يقف عن كرسى القضاء ليصبح محاميا واثقا من عمله القانونى ومن لغته فى وقت معا.

وهكذا جاء تعيينه فى الوزارة خير طريق يخرج منه إلى مقاعد المحامين، كان زكريا باشا قد تزوج فى أول حياته نعيمة هانم شهاب بنت مجدى باشا. وقد أنجب منها ابنيهما عدلى.

ولكن زكريا باشا كان يحب النساء، وكان بارعا فى الحصول عليهن، والطريق يجمع أصحاب القصد الواحد، فلم يكن عجبيا أن يجمع طريق النساء بين الباشا زكريا والبك راشد فكانت صداقة، قوامها الأول وقد يكون الأهم النساء.

ولكن راشد صاحب مصالح كبيرة، والباشا زكريا حين ترك الوزارة إلى الحمامة أصبح يتمتع بنفوذ كبير، وأصبحت الأبواب التى لا تفتح لغيره من المحامين تفتح له، ولراشد عين يقظى كعين الصقر تدرى أين الخير لها. فقضايا راشد تنتقل أذن من تلقاء نفسها إلى مكتب الباشا، وتزداد الصداقة توثقا.

لعلك الآن تعجب أن ذكرت كل شىء عن الباشا أو أكاد ولم أذكر شيئا

□ انفوش مر ذهب ونكاح

عن زوجته الأولى نعيمة هانم شهاب ولا عن زوجها الثانية الأنسة سهير حمدي.

وما كان لي أن أنكر شيئا عن واحدة منهما دون تفصيل لا يقبل الاجمال. فنعيمة هانم شهاب هي الابنة الوحيدة للغنى الشهير مجدى باشا شهاب، وهى سيدة علمها الغنى أن تأمر فتطاع، وليس زكريا باشا بأقل منها أو أدنى حسبا، وإنما تعلقه بالنساء، وعلمه بأنه لاشك سيخونها جعله يسمح لها بأن تأمر فتجاب، وأن تبدو وكأنها هى رجل البيت، وكان ذكاء زكريا ومعرفته أنه آخر الأمر يستطيع دائما أن يفعل ما يريد داخل البيت أو خارجه يجعله يتيح لها هذا المظهر المتأمر الصلب تفرح به هى ولا يخسر هو شيئا.

ولكن شيئا واحد فات زكريا باشا. وما هذا بعجيب، فالأنكياء أيضا تفوتهم أشياء.

لقد استولت نعيمة هانم على ابنهما عدلى منذ ولادته. فهى وحدها صاحبة الشأن فى تربيته، وهى التى تدخله المدرسة، بل انها هى التى اختارت له الكلية التى يدخل إليها، والعجيب أن هذه الكلية لم تكن الحقوق التى تخرج فيها أبوه، والتى تخرجت فيها الغالبية العظمى من وجوه البلاد ووزرائها وحكامها.

لقد اختارت له كلية الهندسة، وقد نشأ عدلى فكرة من أمه، وخطرة منها، وإشارة من يدها، فهو لا يعرف أن يختار ولا يريد أن يعرف. فالذى لم يعرف الحرية يوما لا يفكر فيها، بل لعله اذا منحها تمثلت له شيئا بغضا لا يطيقه ولا يحتاج إليه. فالاختيار فى الحياة شئ صعب تمثلت له شيئا بغضا لا يطيقه ولا يحتاج إليه. فالاختيار فى الحياة صعب ومهمة شاقة لا يتعرض لها إلا من لا يتمتع بأمر كام المهندس عدلى التى تختار له كل شئ يتعلق به، وكل طريق ينبغي له أن يسير فيه.

وحين تخرج عدلى فى كلية الهندسة اختارت له نعيمة هانم زوجته، وتزوجها وكان عدلى على غناه دميم الخلقة، وأصبح بفضل السيدة والدته كرية الخلق ضعيفا تافها، وحين تزوج وانسلخ كيانه عن كيان أمه

□ نفوس من ذهب وفضاء

فى السكن وخلا به وبزوجته بيت تجلى على حقيقته البشعة أمام زوجته، انه لا يجيد فى الحياة إلا أصناف الطعام فما كان له فى بيت أبيه بعد امه إلا الطاهى يلازمه فتعلم عنه أصول الطهى حتى أجادها، وأحس بالرضاء عن نفسه وأطمأن أنه صاحب موهبة، وسبحان رب العرش فى علياء سمائه. يهب لكل عبد من عباده مهما يكن تافها شيئا تطمئن إليه نفسه انه يملك ما لا يملكه الآخرون.

وربما كانت هذه الموهبة بالنسبة لزوجته فى الأيام الأولى من نواجهها مثار ضحك ومزاح. ولكن ويل للزوجة وللزوج معا اذا تبينا أن الضحك والمزاح إنما هما جد كل الجد. وأن عبقرية المهندس ليست فى شىء إلا فى طهو أصناف الطعام.

ضاقت الزوجة راوية بزوجها أشد الضيق، ولما كان لا بد للضيق أن يتمثل فى عمل، فما هو إلا شهر أو بعض شهر حتى كان عدلى مطية وزوجه راكبتها، يبدو الأمر من النظرة السطحية أن مثله فى ذلك مثل أبيه ولكن وهلة من أنعام النظر سرعان ما تعود بها العين الخبيرة. إن هدوء أبيه عن ذكاء وعن محاولة لاخفاء ما يصنعه خارج البيت. أما هدوء الابن فعن غباء ولأنه لا يعرف إلا أن يكون هادئا. وحلت الزوجة محل الأم ولم يقم بينهما أى خلاف. فراوية ذكية تعرف كيف تبدو أمام حمايتها دائما طيعة ذلولا لا تخالف لها أمرا أو ترد لها كلمة فملكت بذكائها الأم والابن جميعا.

وهكذا وقع زكريا باشا فى خطأ لم ينجه منه ذكاؤه المتوقد. وبدلا من أن يكون ابنه جديرا بأن يحمل اسمه أصبح هزوة لكل هازئ، وأغلب الأمر أن زكريا باشا أراد لابنه أن يلهى زوجته عنه فيستطيع هو أن ينصرف إلى نسائه ما شاء له الانصراف. فإن زوجته تعرف عنه ميله للنساء، بل لقد حدث بينهما حدث تدافعت أصدائهما فى مصر جميعا يوم أن دعت زوجته سيدات كثيرات فى ليلة شاع فيها الأتس والسرور بمناسبة عودتها من الأراضى الحجازية بعد أن حجت بيت الله وزارت قبر نبيه.

□ نفوس مر ذهب و نال

وكان الباشا يوم ذاك فى البيت، ولكنه كان فى حجرته بعيدا عن مجتمع النسوة.

لم تكن نعيمة هانم تعرف أن صديقتها صالحة هى رفيقة الباشا فى هذه الأيام، فلم يكن عجيبا أن تدعوها، وكم كانت المفاجأة صعبة حين تفقدت صالحة فى أثناء الحفل فلم تجدها، فإذا خادمتها مبروكة تشير لها بأصبعها إلى أعلى وتصد نعيمة هانم إلى حجرة الباشا فتجدها خالية، فتكمل صعودها إلى السطح لتجد صالحة فى أحضان زوجها، وإذا بها تصرخ صراخا يتعالى على صوت المغنية فى الطابق الأدنى، وإذا بها تخلع حذاءها وتنهال به على معالى الباشا وكان يومذاك وزيرا جديدا. وتصبح القصة حديث مصر جميعا، وتطلق صالحة من زوجها، وتنقطع صلة الباشا بها.

ولكن الباشا لا يستطيع العيش من غير أخرى، ويتعرف فى هذه الأيام على المستشار ممدوح بك عزت، وهو رجل اقترب من المعاش وذهب إلى معالى الوزير يرجوه أن يسعى له أن ينال رتبة الباشوية، وهو فى طريقه إلى مقاهى المعاش.

وممدوح بك عزت رجل تزوج، وهو كبير السن، سيدة مات عنها زوجها، هى السيدة نبوية الباجورى، وقد أنجبت لزوجها فتاة كان عمرها يوم ذهب والدها إلى وزير العدل يدور حول العشرين.

فى غمرة التقرب الذى يسعى به ممدوح بك إلى معالى الوزير دعاه إلى الغداء فى منزله. وهناك رأى الباشا لأول مرة بيت ممدوح بك، ورأى أيضا ابنة ممدوح بك. أما البيت فكسبر متواضع يدل على أن سعادة المستشار شريف وفقر، وأما البنت فتدل على أن سعادة المستشار أحسن اختيار زوجته، وأن الله جعل الابنة تشبه الأجل فى والديها.

راقت سهير فى عين الباشا، ولكن هذه فتاة فى حضن أبيها فلا سبيل إليها أو على الأقل الطريق الذى تعود أن يسلكه لا يصلح معها.. مع هذه الفتاة ليس هناك إلا طريق واحد.

- سعادة الباشا ابنتك سهير غاية فى الجمال.



□ نفووش مر ذهب و نبال

- لا تنس يا معالى الباشا أن صدور الرتبة منك يوشك أن يكون براءة للباشوية، فأنت الوزير المختص باقتراح الرتب للمستشارين.
- سعادة الباشا أنا أعرف اختصاصاتى كل المعرفة.
- إذن.
- أظن جلالة الملك لا يرضى أن يكون أبو زوجتى بك.
- ماذا.. ماذا قلت معاليك؟
- أنا يا أخى أخطب ابنتك لنفسى.
- هذا شرف يا معالى الباشا.
- ولى شرط.
- أنا تحت أمر معاليك.
- أن يظل الزواج سرا حتى أجد الفرصة مناسبة لإعلانه.
- وتم الزواج ونال ممدوح باشا رتبة الباشوية.

لم يكن عجيبا أن يقبل ممدوح بك أو باشا خطبة ابنته، فقد كانت المناصب والرتب ذات شأن أسطورى فى ذلك الزمان، ولكن العجيب أن شخصا فى ذكاء زكريا باشا يخطب فتاة تصغر ابنه بعشر سنوات، من المؤكد أنه ما كان ينصح أى انسان ينتصحه أن يفعل ما فعل، ولكن الانسان دائما يظن أنه شئ آخر غير الناس، وأن ما لا يجدر بغيره يجدر به. فزكريا مثلا كان يظن أن شبابه دائم، وأن الجاذبية التى يتمتع به تستطيع أن تعوض سهرير عن فتوة العشرين، وأن اللقب والمكانة أهم بكثير من تقارب السن.

ولم يكن الأب يسأل ابنته فى شأن زواجها، ولهذا لم تحاول سهرير أن تمتنع، فمادام أبوها قد اختار لها هذا فلا راد لارادته، ولكنها فى شبابها المتفتح كانت تعرف الطريق الذى فرشه لها أبوها برتبة الباشوية التى نالها.

وظل الزواج سرا.

شخص واحد كان الباشا يصحبه إلى بيت زوجته الجديدة هو راشد بك برهان. فقد عرف فيه الباشا قدرته الفائقة على سكب حياة كاملة فى

□ نفوشر من ذهب و نخل

لحظات متعة، وقد كانت السرية التي تحيط بالزواج تجعل الصلة بينه وبين زوجته يحيط بها جو المغامرات الذي كان يحيط بصلاته مع رفيقاته السابقات، وقد كان الزواج يحصن العلاقة اذا هي افتضحت من أن تلوك الألسنة اسمه كما لاكتها في حادثة الحذاء، وفي أحداث أخرى مشابهة.

أعجب راشد بزوجة الباشا وأعجبت به. رأت فيه الشخص الذي تستطيع معه أن تمارس شبابها، وتحس بجمالها الأسر مقدرا عند خبير نساء. وهو وإن كان يكبرها في السن إلا أن الفارق أقل من ذلك الفارق الذي يفصلها عن زوجها.

أحست سهير في عيني راشد الإعجاب، وكانت تعلم أنه لن يقدم على مغازلتها على مرأى من زوجها، فالزوج لماح الذكاء، وراشد يعرف مقدار لمحيته وذكائه. إذن فلتقدم هي.

حين انتهت السهرة وحان الموعد لراشد أن يترك الزوجين، قام واستأذن، وصافح الباشا وصافح سهير، وإذا بشيء أدرك أنه ورقة تتكور في يده فيطبق عليها يده.

ويقرأ راشد على ضوء سيارته الداخلي.

«تعال غدا في الساعة السابعة. الباشا لن يأتي غدا».

ويضع الورقة في جيبه ولا يتولاه عجب كثير، فقد كان يعلم أنه إذا لم يقيم هو بدور العشيق لهذه الزجة الشابة، فسيقوم غيره، ولا بأس به أن يخون صديقه الذي أئتمنه على حريمه. فهو خير ألف مرة من غيره. فقد يكون هذا الغير محبا للظهور وقد يكون شابا فيه رعونة الشباب وزهوه، فيفتضح من أمر الباشا ما ينبغي أن يكن سرا.

فهو إذن يقوم بدور العشيق لزوجة صديقه حماية لعرض هذا الصديق أن تنتاشه السنة حداد، وفي ميدان السياسة يباح كل شيء.

ذهب إلى بيته في هذه الليلة، فاستقبله بدوى خادمه الجديد بعد أن أحال خادمه السابق على المعاش، فقد كان عم محمدين كما كان يسميه قد بلغ من الكبر عتيا فطلب إليه أن يظل في البيت يشرف على الماكل



□ نفوس من ذهب وفضة

والمشرب ويتراش الخدم دون أن يقوم بأى عمل، وطلب إليه أيضا أن يستقدم خادما له جديدا يقوم على خاصة شأنه ويتولى شأن ملابسه، فكان بدوى.

خلع راشد حلقه وألبسه بدوى الجلباب، واستلقى راشد على سريره.. لقد بدأت مغامرة جديدة. لم يكن إلى ذلك الحين قد رأى خديجة، بل انه لم يرهما إلا بعد ذلك بحوالى عامين استمرت فيهما علاقته بسهير، وطبعاً لم يعرف الباشا شيئاً، فكان كثيراً ما يقضى مع الزوجة وزوجها السهرات.

* * *

اغتالت البورصة فهمى عبد الحميد صديق راشد اللصيق وجاره فى الأرض الزراعية، وشح المال فى يده، وأوشك أن يبيع عزيقته المجاورة لأرض راشد الواسعة، فاستدعاه راشد.

- كم تحتاج؟
- لماذا لا تشتري أنت العزبة؟
- هذا كلام فارغ.
- المبلغ كبير.
- ولكن البورصة لا تستمر على حال واحدة.
- وهى أيضا بلا قلب.
- اذا كانت خانتك اليوم وأعطت غيرك فليس بعيداً أن تخون غيرك فى غد وتعطيك.

- اذا أعطتني اشترى أرضاً أخرى أو أسترده منك الأرض.
- أنا لن أشتري.
- أبحث عن مشتر.
- وأنت لن تبيع.
- غير معقول أن تسلفنى مبلغاً كبيراً كهذا.
- اذا لم أحتمل أضمنك فى البنك.
- أريد عشرة آلاف جنيه.

□ نفوش من ذهب ونحاس

- عندي.
- أبيع العزبة أحسن.
- العزبة تساوي أكثر من هذا .. خذ.
- أعطاه شيكا بالمبلغ، وكتب فهمي كمبيالة مستحقة الدفع عند الطلب ووضعاها راشد في حافظة نقوده.

* * *

- في سهرة عند الباشا أو عند سهير أيهما شئت قال راشد:
- معالي الباشا عندي خبر لابد أن أقوله.
- وهل تحتاج إلى مقدمات؟
- ولعل سهير هانم يهمها أن تعرفه أيضا.
- خيرا.
- ربما أصبح من العسير على أن أكثر من زيارة معاليك بعد ذلك.
- اذن فالخبر هام حقيقة.
- أنا أيضا سأتزوج.
- وأريد وجه سهير هنيهة، ولكن سرعان ما استجمعت قوة الانثى.
- ألف مبروك.
- وقال الباشا:
- نعرفها.
- يا معالي الباشا لو كنت تعرفها لما تزوجتها أنا أبدا.
- وقهقهة الباشا بصوت مرتفع، وتبسمت سهير، وقال راشد مستطردا:
- تعرف أباهنا وإلى هنا والمسألة سليمة والحمد لله.
- من؟
- ابنة عثمان باشا فكرى.
- لقد اخترت.
- حقا يا باشا؟
- سمعت عنها كل خير.
- الحمد لله.. معاليك متأكد أنه سمع فقط.

□ نفوس من ذهب ونحاس

- نعم.. نعم.. لا تخف.. وماذا تريدنا أن نقدم لك هدية لهذا الزواج؟
- معاليك خير من يختار.
- اننى أعد لك مفاجأة منذ بضعة أشهر اظن أنها تصلح هدية لزواجك.
- هل لى أن أسأل؟
- الآن أستطيع أن أقول لك.
- عظيم.
- أنت تعرف صلتى برئيس الوزراء.
- نعم. ولو أنك رفضت أن تشترك فى الوزارة.
- الوزارة بالنسبة لى خسارة كبيرة، فهى تجعلنى أترك الشركات التى أعمل بها.
- ربما كنت على حق.
- اعتذرت عن عدم قبول الوزارة، ولكن تستطيع أن تعتبرنى مشتركاً فيها. ف رئيس الوزراء يستشيرنى دائماً، وقد طلبت أجراً لاستشاراتى هذه.
- طبعاً استشارة زكريا باشا لابد أن تكون مكافأتها كبيرة..
- لقد طلبت لك الباشوية.
- حقاً.
- وأظن أن اسمك سيظهر فى انعامات العيد..
- لم يبق إلا أشهر قلائل، وتصبح راشد باشا برهان.
- اسمح لى أن أقبلك يامعالى الباشا.

* * *

حين ذهب إلى بيته راح خادمه الجديد ادريس يخلع عنه ملبسه. فقد غضب عم محمدى على بدوى، واتهمه بأن يده طويلة وحرامى فطرده، وجاء بادريس بدلاً منه، ولم يكن راشد بك يرد لعم محمدى أمراً يأمره فى البيت، فقد كبر على يديه، وهو يعتبر مريباً له..

لاحظ ادريس أن راشد بك سعيد حالم وأن كان لم ينطق بحرف واحد. وبينما هو يخلع عنه بنطلونه اذا بعم محمدى:

□ نفوس من ذهب ونحاس

- سعادة أليك.
- وقال راشد فى نفسه بعد بضعة أشهر ستقول سعادة الباشا ياعم محمدين.
- نعم ياعم محمدين.
- فهمى بك تحت.
- الآن!
- لما رأى دهشتى قال انه يريدك فى شىء مهم.
- اللهم اجعله خيرا .. البسنى يا بدوى. أسف أقصد يا ادريس وحين لبس قال لمحمدين:
- هات دفتر الشيكات من درج الدولار يا عم محمدين.
- ونزل راشد إلى حجرة مكتبه.
- خيرا يا فهمى.
- أين الكمبيالة؟
- يارجل.. أمن أجل هذا تأتى فى هذه الساعة؟
- ان الحديث الذى أريدك فيه لا تصلح له إلا هذه الساعة.
- هل رد الدين يحتاج إلى هذه الساعة؟
- انى سأرده نعم، ولكن ليس بالطريقة العادية.
- ماذا؟
- معى ورقة تحتاج إليها.
- وهل تريد أن تبيعها لى؟
- نحن نعمل فى البورصة. وأنت قلت أن البورصة لا قلب لها.
- ولكن نحن لنا قلوب.
- نحن أبناء البورصة.
- بل نحن أبناء الانسان.
- المهم ألا تريد أن ترى الورقة؟
- لا بأس.
- وأخرج فهمى الورقة وفتحها لحظة، ثم أقفلها وأعادها حيث كانت.

□ نفوش مر خذهب ونجاس

- ودارت الدنيا براشد. واستمر قهمل:
- انك على وشك الزواج. وفضيحة كهذه تقضى على زواجك.
 - هل هذا معقول؟
 - وقد عرفت أنا بتحرياتي أن الباشا تزوج سهير ممدوح. وطبعاً الورقة منها.
 - أيمكن هذا؟
 - تصور لو وقعت الورقة فى يد ابنه عدلى. لقد جن حين أخبرته أن أباه تزوج. وحاول أن يخبر أمه ولكنها فى مرض الموت ولا تعي شيئاً.
 - أهذا فهمى الذى يكلمنى؟
 - تصور أن عدلى ينوى رفع دعوى سفه على أبيه. فكر فى أثر هذه الورقة فى القضية.
 - فهمى.. المبلغ لا يهمنى وسأعطيك الكمبيالة ولكن كيف تصنع أنت هذا.
 - ألم أقل لك أن البورصة لا قلب لها.
 - ولكن أنا أيضاً ابن البورصة وأنا.. أنا.
 - أعرف ما تريد أن تذكره من شهامتك ولكن الناس معادن. أنت شهم وأنا نذل. أظن أن هذا يوفر عليك كثيراً من الكلام.
 - هات الورقة.
 - هات الكمبيالة.
 - لك حق.. فأنت تظن الناس جميعاً مثلك نتبادلها فى وقت واحد. وتمت المبادلة..
 - هل اطمأنتت الآن؟
 - كنت أستطيع أن أطلب ضعفى هذا المبلغ وكنت ستدفع.
 - الآن أعلم أنك أنت الذى ستدفع.. وستدفع أضعاف ما أخذت.
 - أظن ذلك؟
 - سترى.



وهكذا سافر راشد إلى أوروبا مع عروسه في ذهنه كثير يشغله. فقد ترك زوجة زكريا باشا نعيمة هانم بين موت وحياة، وابنه عدلى كاد يجن من خبر زواج أبيه، وهو لا يجد من أمه أذنا أو فهما ليبثها هذا الخبر فتقضى على هذا الزواج قضاء مبرما. وهو وإن كان قد تجاوز الثلاثين إلا أنه غبى قاصر العقل هزيل التصرف، وليس ببعيد أن يرفع دعوى السفه على أبيه فجعله يحول بينه وبين معرفة هل هذه القضية وعدم جديتها. وكل ما يعرف عن أبيه أنه زوج أمه الذى يطيعها فى كل شىء، ولو كان على شىء مهما يكن هينا من الذكاء لعرف أن أباه لا يطيع أمه إلا فى تافه الأمور. فلو قد فكرت أن تتعرض لأرائه الفقهية أو السياسية لكان له معها شأن آخر.

وليس راشد بالذى يفكر هذا التفكير جمعيه فى شأن زكريا مجرد الاهتمام بأمره، وإنما خشى أن يشغله شأن ابنه هذا عن السعى إلى الباشاوية التى وعده بها.

وهو يخشى أيضا أن تؤلبه سهير عليه، فقد قطع علاقته بها تماما منذ ذلك اليوم الذى أعلنها فيه أنه سيتزوج. وللسيدات إلى هذه الأمور



□ نفوشر من ذهب ونخاله

مداخل لا يلج منها سوى ذكائهن.
ولكنه مع كل ذلك كان يفضل السفر. فهو لا يحب أن يظهر أحدا على اهتمامه برتبة الباشوية، ثم لا تأتى، وهو يفضل أن يعرفها الناس من المرسوم لا منه. وأن له أصدقاء خلصا وهو يخشى - وإن كان يعرف نفسه - أن تفلت منه كلمة تنبئ عما يدور بنفسه من آمال.
وقد حرص راشد ألا يخبر زوجته بما ينتظر. فالرتبة عند السيدات لها مكانة خاصة، وهو يخشى ألا تأتى فتتهز مكانته فى نفسها.
لم يستطع شىء من هذا جميعه أن يحول بينه وبين أن يعيش الساعة فى فرنسا ساعات مكثفة من البهجة يشيعها من نفسه إلى قلب زوجته وإلى قلب كل من يشاركهما فى لياليهما أو فى بياض نهارهما.
فهو من أولئك القلة التى تعرف لكل لحظة حقها، فلا يعدو التفكير على المتعة ولا تعدو المتعة على العمل.
وهو أيضا كان يعلم أن ليس فى القاهرة شىء يستطيع أن يفعله. فالانتظار وحده ليس عملا.
أما عن فهمى فإنه لم يبت ليلته التى زاره فيها ليعرض سفالته إلا وقد أعد له عدته. وعرف تفاصيل ما سيفعله بشأنه. ولم يكن الموعد الذى حدده قد جاء بعد.
حين عاد راشد إلى القاهرة فى أوائل سبتمبر كان الباشا قد أعلن زواجه من سهير، بعد أن ماتت نعيمة، وأصبح الباشا يخرج مع زوجته فى كل مكان.
وكان عدلى قد رفع دعوى السفه على أبيه فجعل من نفسه أضحوكة بين الناس. فإن كان لابد من دعوى ترفع فقد كان الأجدر أن يرفعها الأب العالم الذكى على ابنه الغبى الجاهل.
وكان زكريا باشا كبيرا كشأنه. فاكثفى بارسال أصغر محام فى مكتبه، وهو يعلم أن مهمة المحامى غاية فى السهولة واليسر. ولم يكن عجيبا إلا يفكر زكريا باشا فى حرمان ابنه من الميراث وما كان أيسر من هذا بالنسبة إليه، ولكن لعله بروح القاضى العادل، والفقهاء القانونى، قد أدرك أنه هو الذى أهمل شأن ابنه، وجعل منه هذا السخيف الذى

□ نفوس من ذهب ونحاس

أصبحه، بما هيأت له أمه من مجالس فارغة مع نسوة جاهلات، وما هيأت له طاهى المنزل من ثقافة مطبخية.

ولم يشأ زكريا أن يعاقب ابنه على خطأ ارتكبه هو نحوه، ويعتبر نفسه مسئولا عنه.

ويقدر ما كانت أحاديث القاهرة تسخر من سخافة عدلى بقدر ما كان تكبر موقف أبيه وتعاليه عن الصغار، وعن أن يجعل نفسه فى كفة ميزان مع ابنه السخيف.

كان العيد قد اقترب، وذهب راشد إلى القرية، ومعه زوجته، وراح يوزع على الفلاحين الملابس والنقود مضاعفة هذا العام، مدعيا أنها من أجل زوجته، فانطلقت الألسنة تدعو لها وله بكل هناء وإن كان هو فى خبيء نفسه يدبر الأمر ويعد له بهذه المنح عدته.

ظهرت أسماء الذين أنعم عليهم برتبة الباشوية وانفجر الخبر فى البلدة حيث أحب راشد أن يكون. ففى الريف تصبح الأفراح والأحزان أكثر جلاء ووضوحا من المدينة.

فى الريف ينطلق الفرح فيصبح فى كل بيت. توشك تراه فى الشمس وفى القمر وفى الزرع وعلى وجوه الأنعام مع زغاريد النساء ورقص الرجال وقرع الطبول وهتاف المزمار.

وأعاد راشد المنح مرة أخرى بمناسبة الباشوية، وركب سيارته مع زوجته ليقيد اسمه فى دفتر التشريفات، ثم ليذهب بعد ذلك فورا إلى زكريا باشا ليشعره أنه يعرف الفضل لأهله، وأخبره زكريا باشا بالأسماء التى ينبغى أن يمر بها ليقدم الشكر مثل رئيس الوزراء ورئيس الديوان وكبير الياوران وغيرهم.

لم يمكث الباشا راشد فى القاهرة أكثر من يومين، ثم أخبر خديجة أن لديه عملا فى القرية، وقد يضطر أن يغيب بها يومين. ولم تكن الزوجات إلى ذلك الحين يناقشن رغبات أزواجهن. وخديجة لها من ثقافتها ما يجعلها تعرف تماما متى يجمل بها أن تسأل، ومتى ينبغى لها أن تتدخل. فهى تدرك أن أعمال زوجها ليست مجال أسئلة لها أو تدخل.. وهكذا أخذ حضرة صاحب السعادة راشد برهان باشا طريقه إلى قريته.

□ نفوس من ذهب و نباله



□ نفوشر من ذهب و نبال

فى زيارته الأولى سأل.

- متى نجمع القطن؟

- بعد بضعة أيام.

- والعزب التى تجاورنا.

- بعدنا.

- كلها؟

- كلها: نحن أول من زرعنا القطن فى الجهة.

- عظيم.. سأحضر معكم الجمع هذا العام.

- نزداد شرفا يا سعادة الباشا.

فى زيارته الثانية ركب راشد حصانه، وراح يمر بأرضه.

البلاشونى وكيل زراعته وبدأ وكأن راشد أخطأ الطريق،

حدود الأراضى المجاورة وسأل حمزة:

- كم فدان قطن هذه؟

- ثلاثمائة فدان.



□ نفوسهم ذهب وفداهم

- ولم يعقب.
- وحين عاد إلى البيت قال لحمزة:
- أريد متولى الفراش.
- سعادتك تقصد متولى صاحب الفراشة.
- نعم.
- سعادتك تنوى أن تقيم لنا ليلة بمناسبة الباشوية؟
- ستكون ليلة وأنت بطلها.
- يا ليت يأسعادة الباشا لو كنت أعرف أغنى لغنيت للصبح.
- ستغنى يا حمزة.. ستغنى للصبح. ولكن بأصوات أخرى.
- سعادتك تتوقع أن أفهم؟
- مؤقتا المطلوب ألا تفهم.
- وسأل متولى صاحب الفراشة.
- كم كلوب عندك؟
- أمرك يأسعادة الباشا.
- أريد ثلاثين.
- أمرك سعادة الباشا.
- خذ.. اشتر ما ينقصك.. وحين تنتهى الليلة خذها لك.
- ربنا يطيل عمر سعادة الباشا.
- متى تكون مستعدا؟
- عندما تأمر.
- الليلة.
- أمرك.
- وقال لحمزة.
- أريد كل نظار العزب.

□ نفوس من ذهب وفلاس

- أمر سعادة الباشا.
- بعد ساعة.
- أمرك.
- ومعهم الخولية.
- أمر سعادة الباشا.
- قال لهم راشد:
- أريد أطفالا وشبابا ونساء فى سن جمع القطن.
- وقال حمزة:
- كم تريد؟
- لو كنت أريد عددا ضئيلا ما جمعت كل هؤلاء الرجال. أريد كل من يستطيعون أن تجمعوه. وأريد عربات نقل وجمالا وحميرا أيضا بقدر ما يستطيعون.
- ونظر الرجال بعضهم لبعض، وقال أحدهم:
- القطن عندنا لا يستحق الجمع الآن.
- لا عليك يا حاج جودة. ستعرف كل شيء فى حينه.. أنا أعرف أن أحدا لم يفتح فى الجمع حتى الآن.. كم نفرا تستطيع أن تجيئنى به.
- أمرك. أستطيع أن أحضر أكثر من مائتين.. فالجميع الآن لا يصنعون شيئا.
- وهذا بالضبط ما قصدت إليه.
- وهو كذلك.
- وراح كل ناظر وكل خولى يدلى بعدد الأنفار التى يستطيع جمعها.
- واكتمل العدد. ألفا ومائتين. أدرك الباشا أنهم لن يتجاوزوا الألف وهذا ما أراد.
- متى يستطيعون أن تحضروهم؟

□ نفوس من ذهب ونحاس

- إن أردت الآن.
- أنا فعلا أريدهم الآن.. ان انتظرونا إلى الغد فشل كل الترتيب الذى أصنعه.
- أمرك.
- متى تحضرون؟
- نظر الحاج جودة حوله لحظة ثم قال:
- صفار شمس ياسعادة الباشا.
- وأمنت الأصوات على الموعد.
- قبل أن تغرب الشمس كانت الأرض الواقعة أمام سراى راشد باشا برهان تغص بالناس.. منهم من جاء تلبية للطلب، ومنهم من جاء ليعرف السر وراء هذه الدعوة الغريبة للناس والأنعام جميعا. وفى نفس الوقت كان الباشا مجتمعا مع حمزة ونظار العزب فى حجرة مقفلة لم يسمح لغيرهم بدخولها. وسأل الباشا حمزة:
- هل خفر العزب معكم؟
- طبعاً.
- هل معهم أسلحتهم؟
- طبعاً.
- كم بندقية عندنا؟
- كان عندنا عشر بندق، اثنتان منهما الآن فى الإصلاح.. عندنا الآن ثمان.
- لا بأس. ما ساقوله الآن سينفذ دون أن يعرف أحد فى الخارج شيئاً إلا وأنتم فى المكان الذى أحده.
- أمرك.
- ستأخذون الأنفار جميعاً إلى أرض فهمى عبدالحميد.

□ نفوش من ذهب ونحاس

ونظر الرجال بعضهم إلى بعض وأكمل الباشا :
- فى ساعة زمن سينزل الجميع الغيط، مع كل جماعة كلوب، وحول الأرض الخفراء مع بنادقهم.. يهددون فقط. لا أريد عنفا، وقد تكتمت الخبر، وأعتقد أن أحدا لن يأتى إليكم وفهمى عبد الحميد غير موجود. وحين يأتى ستكونون قد جمعتهم القطن. الأكياس يا حمزة التى أتينا بها لقطنا أنا اشتريتها لهذه العملية.
- أمرك يا سعادة الباشا.

- تخرجون وتأخذون الأنفار دون أن تقولوا إلى أين حتى يجدوا أنفسهم أمام القطن يا حمزة. هذا أجر مضاعف للأنفار ، وكافى كل من يبدى همة.

الناس فى القرى لا يسمحون لفرصة كهذه أن تمر دون أن يعرفوا أعماق الأسرار التى تقف وراءها انهم واثقون أن هذا المشهد الذى يرون سيصبح تاريخا يتحاكون به ويجعلون منه على الأيام بصمة كعام الفيل الذى خلده التاريخ. فكل حدث ضخم فى القرية عام فيل. وتراهم يقولون فى سلبية مواتية وكان هذا قبل حكاية الباشا وفهمى عبد الحميد بأسبوع أو بعدها بشهر. وهكذا ستصبح علامة زمنية يرووها أب إلى ابنه وابن إلى حفيده.

فهيئات هيئات أن يتركوا الجموع تذهب ولا يقصوا أثرها ويتبعوها إلى حيث تذهب، وإن كانت جهنم هى المقصد والمتجه.

وهكذا تجمع مئات آخرون حول الجمعية الذين أنافوا على الألف، وساروا يتبعهم كل من رآهم حتى اذا بلغوا أرض فهمى وقف حمزة وألقى أوامره فى حسم وفى اختصار، وتفرقت الأضواء، وأحاط الخفراء بالأرض وتسلم كل نفر خطأ وبدأ جمع القطن. ووقف المتفرجون لحظات وقد عقدت الدهشة ألسنتهم، ولكنهم ما لبثوا أن

□ نفوش من ذهب و نیکاس



□ نفوسهم ذهب ونحاس

تبينوا مقدار الجراءة والابتكار فى هذا الذى يحدث، وهم مطمئنون أن سندهم الباشا. فما لهم لا يشاركون فيما أخذ فيه الجمعية، وتصيح روايتهم بعد ذلك مؤيدة بأنهم جمعوا مع من جمع وتمكنوا أن يجمعوا ثلاثمائة فدان بدأوا فيها بعد أذان المغرب وانتهوا منها وصلاة العشاء مازالت حاضرة.

حتى السرقة فى القرى توقفت بأوقات الصلاة. وهكذا نستطيع أن نقول انه حين وجبت صلاة الفجر كان قطن فهمى عبدالحميد فى مخازن راشد باشا برهان مستقرا وكأنه فيها منذ أيام طويلة.

* * *

أصبحت هذه القصة أحداث المديرية كلها يتناقلونها بشيء كثير من الدهشة. فراشد حسن السمعة لم يمد يده فى حياته إلى ما ليس له، وفهمى عبدالحميد ليس فوق مستوى الشبهات، وهكذا سرعان ما ابتدعت الاشاعات قصة عن السبب وصدقها الناس.

فالناس لا يحكمون على أحد من حادثه واحدة، وإنما هم ينظرون فى ماضيه جميعا، ويقارنون ويقدمون الحيثيات ثم يصدرون الحكم. لقد أكل فهمى عبدالحميد على راشد مبلغا من المال وأبى أن يورده إليه. فلم يجد راشد أمامه سبيلا إلى هذا. فهو لا يحب أن يستلب أحد أمواله مادام هو لا يحب أن يستلب أموال أحد.

وهكذا أصبح فهمى عبدالحميد المجنى عليه ظالما لا مظلوما ولا اشفاق عليه. فهو الذى صنع اسمه هذا، وسيرته تلك بين الناس. فليس عجيبا أن يكون هذا هو حكم الناس عليه. وأن من يقدم على ما أقدم عليه نحو شخص أكرمه وأقال عثرته وحفظ عليه ماله وأرضه، ليس غريبا عليه أن يكون اسمه بين الناس غير كريم. فهذا الاسم يتكون عند الناس من أشياء صغيرة غاية فى الصغر. يأتيها ذو النفس اللثيمة من غير قصد ويستقبلها الناس فى كثير من الأحيان

□ نفوس من ذهب ونجار

بنوع من النفور قد لا يعرفون سببه. وليس غريبا أن تسمع من الناس عن فلان منهم أنهم لا يرتاحون إليه، وربما عجزوا عن ابداء الأسباب إن سألتهم أسبابا. فهمى عبد الحميد هو هذا الفلان من الناس عند الناس.

عرف أهل المديرية مما تواتر عن هذه الحادثة أن راشد فى القرية، فتوافدوا إليه من كل البلاد يهنئونه بالباشوية، ويسخرون من فهمى عبد الحميد، وربما حاول أصدقاؤه المقربون أن يعرفوا منه ما دعاه إلى ما فعل، ولكنه كان يقول فى حسم:

- وهو يعرف وهذا يكفى.

وقصد إلى بيت راشد باشا مدير المديرية والمأمور والحكمдар. وقال الباشا المدير:

- جاعتنا شكوى من فهمى عبد الحميد.

وقال راشد فى نوع من التجاهل:

- خيرا.

- لا تحاول معنا تجاهلا.. فقد حققنا الشكوى.

- مم يشكوا؟

- المهم أن كل رجاله رفضوا أن يشهدوا ضد أى أحد من رجالك فأشجع من فيهم الذى قال ناس لا نعرفهم.. وأغلبهم قال ليسوا من الناحية، ولا من الجهة.

- مازلت لا أعرف عم تتحدث ياسعادة الباشا.

- والله وأنا الآخر لا أعرف عم أتحدث.. اطلب لنا القهوة يا سعادة الباشا.

- إنها عادة تأتى دون أن أطلبها ياسعادة الباشا. شرفت.. شرفت

ياسعادة الحكمدار وأنت سعادة البك المأمور.

□ نفوس من ذهب و نحاس

- انتهزنا الفرصة لنهى سعادتك بالباشاوية.
- أكرمك الله ياسعادة الحكمدار.. إن شاء الله نهنتك بها قريبا.
- واللتفت إلى الباشا المدير:
- سعادة الباشا يحب النارجيلة.
- وقد أحضرتها معى فى السيارة.. أأمر بإحضارها.
- لا ياسعادة الباشا. فى هذه المرة ستشرب فى نارجيلة أخرى،
ومعها دخان استقدمته لسعادتك خصيصا من تركيا..
- وصفق راشد باشا وأصدر أوامره، وما لبثت أن جاءت شيشة ذات
مبسم من المرجان وقد أحكم عليها دخان واضح الفخامة. وما هى إلا
أن جذب منها الباشا المدير جذبة فإذا هو يقول:
- سعادة الباشا ليس فى مصر رجل مثلك يعرف كيف يحيى الناس
فى أناقة وترفع.
- ويضحك الجميع.
- لقد كانت ملاحظة المدير غاية فى الصدق.. فمن يستطيع أن يقول
أن مديرا عظيما يرشى بنارجيلة، إنما هى هدية من ناحية الثمن لا
تساوى شيئا، ثم هو يقدمها إليه على الملأ. والرشاوى لا تقدم على
الملأ.. إنما هى هدية بين صديقين ولا تحمل أى تأويل آخر.. ثم هى
هدية تحمل فى طواياها أن مقدمها يهتم بمن سيقدمها إليه ويبحث
عما يسره من الهدايا ويقدمها إليه.
- ذكى سعادة الباشا الجديد.. ذكى لاشك فى ذلك.

* * *



□ نفوس من ذهب ونبأ

شهيرة سيدة عجيبة.. انها ابنة عم خديجة وأبوها وجدى باشا عزت. وقد تظن انى اخط الأنساب فجعلت أخا عثمان باشا فكرى اسمه وجدى باشا عزت، ولو انك سألت واحدا من أبناء هذا الجيل لعلمت أن المدارس فى ذلك العهد العهد من الزمن كانت تسمى تلاميذها بأسماء تركية غير تلك التى يردون بها إلى المدرسة، ولم تكن هناك شهادات ميلاد فى ذلك الحين.

فوجدى باشا عزت اذن هو أخو عثمان باشا فكرى كما شاءت المدرسة أن تسميه. وان كان عثمان باشا فكرى قد نال الباشوية عن طريق غنى سابق تبدد، فأصبح أقرب إلى الفقر، فإن وجدى باشا عزت نال الباشوية عن طريق السياسة. فقد كان عضوا بالتجمعات البرلمانية التى كانت تسمى المجلس التشريعى أو مجلس شورى القوانين. ولم تمهله الحياة أن يرى مجلسى البرلمان اللذين نبأنا عن دستور عام ١٩٢٣ وكانا يسميان مجلس النواب ومجلس الشيوخ.

□ نفوشر من ذهب وفضة

ولكن وجدى باشا ترك مع ذلك سيرة طيبة، وترك أيضا بقية من مال تجعل ابتغته شهيرة تنسلك بشىء من الصعوبة والعسر مع طبقة الأغنياء، إلا أنها كانت تعيش عيشة سمحة لا عنت فيها ولا ارهاق.

وكانت شهيرة تستطيع أن تستغنى باسم أبيها وبما تركه من مال عن تعلقها بأصحاب الألقاب وأصحاب الشهرة. فهي مثلا لم تزر خديجة إلا زيارات نادرة تستر بها واجبات القرابة. فلم يكن راشد ذا شهرة فى المحيط الذى تحيا فيه شهيرة. وابنة عمها لا تمثل عندها إلا أنها ابن باشا، وباشا غير ذى شهرة، بل وغير ذى مال أيضا.

وهكذا لم تجد شهيرة داعيا أن تزورها. حتى اذا نال راشد الباشاوية أصبحت شهيرة لا تترك بيت خديجة، بل أصبحت لا تخفى عنها سرا من أسرارها.

كانت شهيرة تجد متعة فى نطق كلمة باشا، وتحس لها مذاقا فى فمها، وموسيقى فى أذنها، وتكاد تشم لها رائحة فواحة العبير فى خياشيم أنفها. ونفس هذا الشعور من النشوة كان يلغها اذا ذكرت اسما من أسماء المشاهير فى أى متجه تحققت له الشهرة فيه. وانى لأعجب لها، ولاشك انك ستعجب معى أن النساء الشهيرات فى عالم الليل وفى غير ما يشرف المرأة أن تشتهر به كن يثرن فى نفسها نوعا من التوفز حتى اذا تعرف بواحدة منهن اتخذت منها صديقة مقربة توشك لا تغفل يوما لا تزورها فيه أو تتصل بها.

رحبت خديجة بصداقة ابنة عمها الجديدة. والحقيقة أن شهيرة أنيسة الجلسة طيبة الحديث، يمر معها الوقت لا تكاد جليستها تحس به. وقد سعدت شهيرة أن توثق صلتها بجلفدان هانم والدة راشد باشا، وقد كان الجميع يناديها هانم أفندى. كما سمعت ابنها يناديها فى أول هذا الحديث الذى أسوقه إليك.

□ نفوس من ذهب ونحاس

فكلمة هانم أفندى ذات رنين عند شهيرة، بل انها تجد فى نطقها انها تختلف عن الأخرىات اللواتى لا يعرفن سيدة يقطن لها هانم أفندى. ولا يهمها أن سبب هذه التسمية أت من أن السيدة جلفدان كانت ابنة لاحدى حريم السلطان عبد الحميد، وزوجها لواحد من أتباعه، وقد خطبها زوجها والد راشد من تركيا وشفع له غناه فنسى أصهاره أو أرادوا أن ينسوا أنه ليس إلا فلاحا لا يرقى إلى سماواتهم.

ليس شىء من هذا يقع موقع الأهمية عند شهيرة. المهم أن تقول هانم أفندى. والمهم أن هانم أفندى أحببتها وتجمع الجلسة ثلاثهن. - الأترين طريقة لقربيتك هذه شهيرة هانم؟

- ما لها هانم أفندى؟

- لا تريد أن تأتى لنا بمولود؟

وكانت خديجة تحب حماتها حبا طاغيا. فهي قد تركت لها شئون المنزل تصنع فيه ما تشاء، وقد قدرت لها خديجة هذا، فجعلت اشارتها أمرا. فهي تنفذ لها أوامرها قبل أن تنفذها لزوجها. ولهذا لم تكن أحاديث حماتها عن الانجاب تثير فى نفسها شيئا ما يغضب له النساء عادة اذا طالعتن الحموات بمثله. وعلى كل حال فقد كان لها مع حماتها فى يومها ذاك شأن آخر.

- وهل بيدى هانم أفندى؟

- كل شىء بأمر الله هانم أفندى.

- ولكن يا بنتى يا شهيرة إنها لا تريد أن تسمع كلاما فى هذا الشأن.. علينا أن نحاول..

- نعم فى هذا أنت محقة هانم أفندى.. ماذا جرى لك يا خديجة.. لابد أن نحاول.. أعرف داية..

□ نفوس من ذهب ونحاس

- اسكتى يا شهيرة.
- ألا تريدن حتى أن تسمعى؟
- هانم أفندى.. انى حامل.. وأنا أخبرك الآن قبل أن أخير الباشا.
- وسقط الصمت على الحديث المتحمس، وارتسمت ابتسامة على فم خديجة، واندلعت دهشة وفرحة فى عيني جلفدان وانعقد لسان شهيرة.. لحظات.. بدت بطيئة ولكنها لحظات، ثم انتفضت هانم أفندى إلى دولا ب نقودها وقبضت منه قبضة وصاحت:
- يا بنات.. يا فهمية يا سنية يا حبيبة..
- وتقاطرت الخادما ت إلى السيدة الكبيرة.
- خذن.. خذى أنت وأنت وأنت.. زغردن زغردن جميعا.. افتحن الشبا بيك.. افتحن الشبا بيك. أنا أمر بهذا.. افتحن الشبا بيك وزغردن ولا تتوقف منكن الزغاريد حتى يأتى الباشا ويسمعها منكن.
- وأخذ الضحك السعيد بمجامع خديجة، وأحست شهيرة لأول مرة أنها لا تجد شيئا تقوله أو تفعله.
- وخرجت جلفدان هانم من الحجرة، وراحت تصدر الأوامر أن يبلوا الشرابات وطلبت محمدين، وأمرته أن يفرق عيشا ولحما عند مقام السيدة زينب وسيدنا الحسين.
- وقالت شهيرة لخديجة فى اهتمام:
- جاعنى عريس.
- من؟
- سامى حسنين.
- ابن خالتك. متى جاء من أوروبا؟
- منذ شهر.
- أخذ الشهادة؟

□ نفوس من ذهب ونحاس

- فى الهندسة.
- وأنت ما رأيك؟
- تريدان الحق؟
- أريد الحق.
- هو بلا شخصية.
- بالنسبة لك ليس هذا عيبا.
- ماذا تعنين؟
- أنت لا تحبين أن يكون هناك رأى بجانب رأيك.
- وهو أيضا فقير.
- وهذا أيضا أحسن لك.
- أعوذ بالله منك.
- أنت غنية وغناك وفقره سيجعل كلمتك دائما هى النافذة.
- دمه ثقيل.
- يخف.
- يعنى.
- توكلى على الله.
- وارتفعت الزغاريد فعرفنا أنها تستقبل الباشا بالبشرى.

□ نفوش من ذهب و نكاح



انصبت أخبار القطن على فهمى عبدالحميد ترادفها الدهشة والعجب. ولعل بعض الندم ألم به. وسأله الناس فتظاهر بأنه مظلوم وإن لم يبد سببا. خشى أن يختلق سببا فيحل به عقاب آخر، وخشى أن يقول الصدق فيحتقره الناس. لقد أدرك أن راشد قد اصطنع ما ليس من خلقه ليرد عليه تصرفه. لقد انتهب هو أموال راشد، أمنا إلى أن راشد لن يتخذ نفس الطريق ليسترد أمواله.

لم يستطع فهمى عبدالحميد أن يذهب إلى راشد بعد الحادث بفترة قصيرة، وإنما أثر أن يترك الأيام تنسى الناس ما حدث، وأثر أن يشعر راشد أنه انتقم فيلأينه فى الحديث. حتى إذا مر من الوقت ما أراد فهمى أن يمر، ذهب إلى راشد فى بيته فى مصر. فقد حرص ألا يرى رجال راشد ورجاله ذله وانكساره، خاصة بعد أن عرف ما كان من زيارة المدير ورجال الادارة لبيت راشد بالبلدة. وفى القاهرة.

- لم أتوقع هذا.

- لانى عشت عمرى كله أكرمك وأكرم جوارك.

□ نفوس من ذهب وفضة

- فلماذا لم تكرم خطئي؟
- أنا لا أستطيع أن أكرم سفالتك. لا أكرام عندي للسفالة.
- كلنا فى الهوى سوا يا سعادة الباشا.
- كذبت.
- حين تستحل صلة غير شريفة بصديق قريب لك تسمى هذا خلقا.
- أنا غير مستعد أن أدافع عن نفسى أمامك.
- ولقد حميتك أن تدافع عن نفسك أمام زكريا باشا.
- لو كنت أعطيتنى الورقة دون استغلالها لجاز لك أن تقول هذا.
- وما البأس أن أستغلها وأنا فى فقرى هذا.
- لقد وقفت إلى جانبك فى فقرك. وأنا لم أطلبك.
- فرصة لاحت لى.
- فرصة قذرة.
- ألا يجوز لى وأنا ابن البورصة أن أستغل ضريبة حظ؟
- لقد صنعت أنت هذه الضريبة واشتريتها من خادم لى.
- كيف عرفت؟
- الأمر لا يحتاج إلى ذكاء. ولو كنت ذكيا حقا لقدرت ذكاء الآخرين.
- كل منا له أن يبحث عن صالحه أينما وجد.
- ولكن يجب علينا أن نكون على شىء من الخلق.
- يا سعادة الباشا إننا نلعب على مائدة واحدة.
- ربما أكون قد أخطأت، ولكننى أعرف اننى كنت مخطئا وقد تبت..
- اننى منذ تزوجت لم أخن زوجتى.
- ولا خنت صديقا لك؟
- رددت خيانة أحدهم ولم أخنه.
- يا سعادة الباشا. لقد خنتك فى مالك، وخنت أنت صديقك فى

[نفوس من ذهب ونحاس]

- عرضه. فلا أعتقد أنك الشخص المناسب للحديث عن الشرف.
- أنت خنتني فى مالى وفى اكرامى لك.
- لم تذهب بعيداً عما ذهبت إليه.
- أما أنا فقد تبت.
- الله وحده يعلم ما فى القلوب.
- ولكننا نحن البشر نعرف الظاهر من الأعمال.
- ظاهراً الأعمال انك استوليت على قطنى بغير حق.
- اليس لى حق عندك؟
- أمام القانون لا حق لك.
- لو كان القانون يعطينى حقى ما لجأت إلى تحطيمه.
- وترى هذا عملاً شريفاً؟
- ألم تقترح أنت ألا نتكلم عن الشرف؟
- هذا حقك.. وماذا تنوى أن تفعل؟
- أما أنا فقد فعلت.
- يخيّل إلى أن عملك لم ينته.
- لن أسمح لك بزراعة أرضك حتى استرد مالى الذى عندك.
- اكتب لك كمبيالة جديدة.
- معنى الكمبيالة اننى أقبل تسليفك وأنا لا أقبل.. فى هذه المرة لا بد أن أسترده أموالى نقوداً مثل التى أعطيتها لك.
- ولكن.. ولكن هذا مستحيل.
- ولماذا.. لقد غطيت خسارتك بالمبلغ الذى أعطيته لك، ثم كسبت من أسهم الشركة الخديوية مبلغ عشرين ألف جنيه، وكسبت صفقة اتحاد البنوك ثلاثين ألف جنيه.. لو لم أكن أعرف انك تستطيع رد أموالى لبحثت عن طريقة أخرى لاستردادها.

□ نفوٹ من ذہب و نملہ



□ نفوس هو ذهب و نبال

- تعرف عني كل شيء.
- لقد قلت الآن أننا نلعب على مائدة واحدة.
- نخصم ثمن القطن وأعطيك الباقي لك.
- أي قطن؟
- راشد بك.
- باشا اذا سمحت.
- راشد باشا. أتنوى..
- لقد نويت.
- وهل هذا معقول؟
- وهل ما فعلته معقول؟
- إن لي أولادا.. هذا حرام عليك..؟
- وهل لابد أن يكون لي أولاد حتى أنال حقى، وعلى كل حال ياسيد اطمئن. فإن ابني فى الطريق.
- فمن أجل خاطره اذن ياسعادة الباشا ارحمنى.. أعرف انك قادر، ولكننى أعرف أيضا انك تعفو اذا قدرت.
- بشرط واحد.
- لقد أحضرت معى المبلغ.
- اسمع يافهمى. سأقبل المبلغ الذى أحضرته على أن ننسى كل شيء حدث بيننا فى هذه الفترة.
- هذا شرط أبحث أنا عن تحقيقه اذا رفضت أنت.
- وهو كذلك.. هات المبلغ.
- شكرا ياسعادة الباشا.. ألف شكر.



□ نفوس من ذهب ونهار

جاء المولود الأول لراشد باشا، وقد حلاله أن يسميه اسما عربيا عريقا، فسماه أسامة، وحاولت هانم أفندي أن تعترض لتخلد اسم أبيها نيازي، ولكنها وجدت من ابنها اصرارا، وقد صاحب مجيء أسامة فرح كبير في الأسرة استبشرت خديجة واستبشرت به هانم أفندي، ولم يجد راشد باشا بأسا أن يستبشر به أيضا. فقد تحدد يوم زواج شهيرة من ابن خالتها سامي حسنين. وكان اليوم محددا بعد ميلاد أسامة بعشرة أيام، وقد تصادف أن تم تحديد الموعد والميلاد في يوم واحد.

وفي المساء، وبعد أن استطاعت خديجة أن تسمر مع المهنئين، وهي في سرير ولادتها قالت شهيرة:

- والله لا أتزوج حتى تستطيعي أنت حضور فرحي.

- هل جئنت يا شهيرة؟

- أكون مجنونة لو فعلت غير هذا.

□ نفوس من ذهب ونظام

وهكذا تجدد تحديد الموعد على يد الطبيب الذى أشرف على ميلاد أسامة. فالأطباء فى ذلك الحين كانوا يشرفون على الولادة ولا يقومون بها. فإنه لا ينبغي للسيدات أن يلدن بمشهد من رجل حتى ولو كان طبيباً. فكان الطبيب يحضر الولادة جالسا مع الرجال، وكانت الداية التى يرشحها الطبيب هى التى تقوم بعملية الولادة نفسها. فإذا حدث خلل استدعى تدخل الطبيب فإنه حينئذ يتولى بنفسه العمل مباشرة. فقد كان نلك الجيل لا يؤمن بأن الوقاية خير من العلاج مادامت هذه الوقاية ستحطم عرفاً عريقاً كان كشف الحريم على الزوج. وقد كان راشد جديراً أن يحطم هذا العرف لولا أن الطبيب طمأنه أن الولادة ستكون طبيعية، وأنه لا يوجد ما تخشى عواقبه.

لم يكن راشد من هؤلاء الذين يحبون أن يحطموا التقاليد بمجرد تحطيمها، وإنما كان يحطمها إذا تعارضت مع منطق الأمور ومعقوليتها، وأن قضاء شهر العسل فى أوروبا والطريقة التى أظهر بها زوجته على باريس لتدل على أنه لا ينتمى لهذا الجيل الذى يسلكه فيه زمانه ومولده وأسرته.

ولعل من العجيب أن راشد كان بهذا التحضر العقلى فى خاصة شأنه، وأن يحافظ فى نفس الوقت على العرف والتقاليد محافظة صماء إذا لم تكن تتعارض مع رغباته وأهوائه ومزاجه الخاص.

فصلاته النسائية فى مصر قبل الزواج مستورة لا يعرف عنها أحد شيئاً، ولولا خطأ نسيان لما أتيح لفهمى ما أتيح له من الحصول على هذه الورقة.

أما صلاته النسائية فى باريس فقد كانت صاحبة عديدة يستره فى علانياتها أن أحداً لا يعرفه هناك.



لأنفوس من ذهب وفضة

كان راشد شخصين متناقضين، وهما مع ذلك متوائمان في نفسه، متفاهمان لا يعارض واحد منهما الآخر، ولا يعترض أحدهما على ما يأتيه الثاني كتوأمين اختلفت أخلاق كل منهما عن الآخر، وتألفهما في الوقت نفسه الحب العميق والاعجاب.. كان كل من الراشدين في نفس راشد يعجب براشد الآخر ويحبه ويشيد في همسه به. ولولا خشية أن يقال نرجسى يحب نفسه لأعلن عن حب الراشدين أحدهما للآخر المكتم في نفسه التي تبدو أمام الناس راشدا واحدا. بل لقد كان هذا الحب المكتم هو في ذاته صانع الشخصيتين وسر حياتهما معا.

كان راشد العرييد يعجب براشد الجامد الصلب المحافظ على التقاليد المعتنى بملبسه عناية تقليدية. فلا ينسى أن يمسك العصا وأن تكون الياقة منشأة انقلب طرفاها إلى أعلى وتوسطها رباط عنق أنيق يتوسطه هو الآخر دبوس ماسى عريق.

ويعجب راشد العرييد براشد في المحافل العامة، رافضا اختلاط الرجال بالنساء، ورافضا عمل المرأة إلا أن تكون خادما بالمنازل، ورافضا كل ما تريد الحضارة أن تدخل به إلى العصر.

ويعجب راشد العرييد براشد مقيم الصلاة في مواقيتها، وذاهبا إلى المسجد من يوم الجمعة حتى إذا كان في القرية سبقتة السجادة ليصلى عليها. وإذا عرف في القرية أن شابا من شبابها يغازل امرأة أو يحاول أن يعتدى عليها، استقدمه وانهاه عليه ضربا، حفاظا على الشرف، وردعا لكل من يحاول أن يحطم تقاليد الدين، وعرف الآباء والأجداد.

ويعجب راشد العرييد براشد فاتح بيته في القاهرة والريف كل ليالى رمضان ومشاهير المشايخ يتبادلون قراءة القرآن، ويؤم البيتين



□ نفوشر من ذهب وفضاء

الناس يباركون هذا العرف العظيم الذى يصر راشد أن يحافظ عليه. أما راشد، هذا التقليدى، فهو يعجب براشد العرييد فى كل ما يأتیه راشد العرييد، سواء كان ما أتاه تاريخا لا يعود، أو واقعا يعيش فيه. وسواء كان ذلك فى باريس مفضوحا هناك محبا لاعلان العريدة، حيث لا يعرف أحد من ذلك العرييد، أم فى القاهرة يأتى من يأتیه من النساء فى محافظة على التقاليد وفى عريدة صامته وقور لا تتفاضح ولا تعالن وإنما تستمتع فى داخلها فتحوى المتعة جميعا غير ذائعة ولا بادية. ولكل من الصخب والصمت والعريه والوقار متعته فى نفس راشد.

ولكن راشد حين جاء أسامة أحس أن راشدا ثالثا وقد على الراشدين، وأحس أن هذا الثالث لن يجعل الأمور تجرى فيما تعودت أن تجرى فيه.

كان راشد براشديه يحسن أنه حر وأن لديه من المال ما يكفيه لارضاء نفسه فيرضى بها الراشدين جميعا.

كان المال عنده وسيلة يحقق بها ماتصبر إليه نفسه، سواء كان هذا الذى تصبر إليه مراحا ومتعة، أم كان تعاظما ووقارا. فمليسه دائما أفخم ملابس، وأثاث منزله أعظم أثاث، وسيارته أحدث طراز.

والمال متعة لا مثيل لها مادام عند صاحبه وسيلة لغاية. والمال نقمة لا تماثلها نقمة إن أصبح هو فى ذاته غاية لا وسيلة، وهدفا لا طريقا، وأملا لا سبيل لأمل.

أى شيطان ركبه فجعله يظن أنه ينبغى له أن يترك لابنه مالا أكثر مما يملك.

لقد أحس فجأة انه لابد له أن يضاعف الثروة التى ورثها، حتى



□ نفوسهم من ذهب وفضة

يرضى ابنه هذا الذى مازال فى سنوات الرضاع.
أصبح أحس بهذا أم تراه هيا لنفسه أن يحس هذا الاحساس؟
هل يقلب الأبناء آباءهم رأسا على عقب؟
أيمكن لهذا الطفل الذى يلوح طيفا قادمًا على المستقبل لم تكتمل
معالم وجهه أو جسمه.. مشروع الانسان هذا يستطيع أن يقلب
شخصا فى جبروت راشد، وفى اكتمال عناصره من شخص يريد
المال ليستمتع به إلى شخص يريد المال للمال؟ أنا لا أصدق. أغلب
الظن أنها رغبة خفية فى نفسه تبحث لها عن باب يبدو مشروعا
لتنقلب حقيقة، ولتجعل من صاحبها الذى عاش سيدا للمال إلى عبيد
المال. فالذى يريد المال ليعيش به يظل سيدا للمال ولزمته، فإذا أصبح
المال فى ذاته هو الغاية لذاته لا لما يحققه لصاحبه من عيش رغيد،
ينقلب المال حينئذ سيدا شرها قاسيا جبارا متسلطا بلا رحمة. ومن
أين الرحمة وهو جماد بلا عاطفة، ومن أين وهو أكبر أعداء
العاطفة، وباسمه هذا المادى تسمت كل المذاهب البعيدة عن روحانية
البشر وعن انسانية الانسان. إنه يمثل الجانب الصلب الحاقد البشع
فى البشرية جميعا..

أكان راشد فى دخيلة نفسه يريد الغنى للغنى، وليمتع نفسه بمتعته
الظاهرة والخافية حتى اذا جاء أسامة بدا ما كان يخفيه.
من يستطيع أن يقول؟ علماء النفس هؤلاء أبعد الناس عن معرفة
النفس، وشر ما تخادع النفس نفس صاحبها.. تلهو به، وتعميه عن
حقائقه، وتجليه عن مواقعه من الحياة، ويظن بذاته غير حقيقة ذاته،
ويمضى إلى مسالك من الحياة لا تطيقها نفسه ولم تهينه لها، فهو ما
عاش متخبط، وإن ظن بنفسه العلم والثبات، فإن صادفه شئ من

□ نفوشر من ذهب و نكاح



□ نفوس من ذهب ونحاس

النجاح ظن أنه عرف الطريق وهيئات هيئات أن يعرف. فإن كان ذلك الفيلسوف قد طلب إلى الانسان أن يعرف نفسه في كلمتين «اعرف نفسك» كأنهما بديهية من البديهيات، فقد كان يدري أو لعله لم يكن يدري أنه بهاتين الكلمتين قد طلب إلى الانسان أصعب ما تطلبه الحياة من الانسان.

مسكين أسامة، اتخذه أبوه سبياً، وما كان سبياً، وجعل من مجيئه مستندار حياة وما يدري أسامة، ولو درى لجثا على ركبتيه لأبيه يرجوه أن يظل كما عاش حياته، سيد المال لا عبد المال.

إذا أصبح المال هو الهدف انعدام الهدف. فالأرقام لا تعرف نهاية، ومادمت لا تعرف لهدفك نهاية، فأنت ومن لا هدف له سواء، وويل للانسان انعدم من حياته الهدف. بل لعل الذي يحياها مصادفة يترك لأيامها أعنة قيادة ومتجه أحلامه ومسار آماله أعظم سعادة من انسان جعل جمع المال هو الهدف، وهو الحياة. فإن هذا الانسان المسكين جهل أو أراد أن يجهل أن الهدف قد انعدم من حياته، وإن كان قد وضعه أمامه، فالمال المال والسعار السعار والحياة اذن جحيم لا ينتهى إلى نعيم، ونيران لا برد لها ولا سلام. والانسان يومئذ يجهل الرقم الذى يريد أن يقف عنده فإن قدره وبلغه اغراه المال بما يعده، وتنهار حياة الانسان تحت نعال المال ويصبح السيد عبداً وباختياره.





خسر عدلى القضية ضد أبيه، وربما كان يعلم أنه سيخسرهما على أية حال فإن كان عقله قد حال دون هذه المعرفة فالذى لاشك فيه أن راوية زوجته كانت تعرف ذلك، وإنما حلالها أن يصبح اسم الباشا وابنه على كل لسان. فالحياة مع عدلى راكدة وراوية ليست خائنة بطبيعة تكوينها. فهي لم تخذل زوجها ولا تنوى أن تخونه. وهى لهذا ضيقة بحياتها معه ضيق ملالة، وهو نوع من الضيق يجعلها تبحث دائما عن تسلية. قد تكون هذه التسلية كبيرة كقضية الباشا أو صغيرة كإتضاهاها إلى مجموعتين من السيدات احداهن للحديث، وهذه تضم خديجة وشهيرة ومجموعة أخرى للعب الكونكان لعبا لا تلقى فيه بكثير من الأموال، فهي ليست مغامرة بطبيعتها، وهى تعلم مقدار الغنى الذى انسكب على زوجها بعد وفاة أمه وخاصة أن أباه فى ترفعه أبى أن يأخذ نصيبه من تركة زوجته وترك ذلك النصيب لابنه الذى رفع عليه دعوى السفه، فزاد هذا من اكبار الناس لذكريا



□ نفوسهم من ذهب وفضة

ومن احتقارهم لعدلى. على أية حال لم يكن هذا الغنى سببا يجعل راوية تنفق المال فيما لا يفيد. فهي تقدر أن ابنتها التى جاءت بها والتى لا تتوى أن تجيء بغيرها لن تغفر لها تبديد أموال أبيها. وقد كانت ابنتها هالة هى كل شىء فى حياتها.

فمادامت حياتها قد خلت من الزوج فلا أقل من أن تعمرها الابنة. وهكذا استطاعت راوية أن تتواءم مع حياتها وتقبلها وتخلق فيها المتعة التى حرمتها بزواجها من هذا الأبله.

وقد كان عدلى خليقا أن ينعم بحياته هو أيضا. فهو يستطيع دائما أن يجد أصناف الطعام التى يطهوها، ويستطيع دائما أيضا أن يجد مجالس النساء، ويشاركهن الحديث. كان يستطيع هذا جميعه ولكن قضية أبيه حطمت كل المتع التى كان يستطيع أن يخلقها لنفسه. لقد وهم أن القضية ستحطم سمعة أبيه. فإذا هى لا تمس أباه فى شىء، وإنما تحطم حياته هو تماما.

لقد وجد نفسه بين أصدقائه مجال سخريه لازعة كانوا يخفونها عنه فأصبحوا يبدونها. بل لقد وجد السيدات من صديقات أمه يشحن عنه بحديثهن. حتى لقد أحس فجأة انه لا يجد فى حياته شيئا أو انسانا. زوجة لا تحدثه إلا بصيغة الأمر، وهو بأوامرها هذه مطمئن إلى أن شؤون البيت لا تحتاج منه إلى رعاية.

ولكن هو.. هو عدلى ماذا يصنع بحياته.. أن أموال أمه كلها عمارات، فهى لا تحتاج إلى ادارة وإنما هى الدائرة يذهب منها موظفان كل شهر يجمعان الايجارات، ثم لا شىء بعد ذلك وهو يذهب إلى دائرة أمه كل يوم ولكن بلا عمل.

ناه عدلى فى الحياة وتاهت به الحياة.. لا يرافقه فى التيه الممتلىء،

لأنفوس من ذهب ونحاس

بالحسرة إلا صديقه عزت بهادر.. لعلك لا تذكره فقد مر ذكره عليك
مرورا لا بريق فيه ولا لمعان.

وماذا بى أن أؤمن عنده النظر والحياة نفسها خلقتها فى عجلة فلم
تجعل له عمقا يقف عند محب للتعلم.

انه ابنة خالة خديجة. وكان طبيعيا أن تقوم بينه وبين عدلى هذه
الصداقة التى تجمع السخفاء والضائعين فى مواكب التفاهات،
يزيدهم الغنى تفاهة، ولا يستر عليهم حقيقة أمرهم. ومن عجب أن
تصحب فضيحة عدلى مع أبيه فضيحة لعزت فى الدوائر التى تحيط
بهما.

كان عزت على صلة بسيدة طلقت حديثا من زوجها.. وأعجبها
جمال عزت وربما أعجبها أيضا فراغه. فالسيدات فى أحيان كثيرة
يستطعن أن يعجبن بما لا يعجب به آخرون، ولم يكن عزت فى صلبته
بهذه السيدة يطلب منها وفاء أو ولاء فلقد عرف أنها اتصلت بعد أن
عرفته باشا عجوز أرغمته ظروف خارجة عن إرادته أن يعمل فى
الحياة السياسية، فإذا هو يتصدر منصبا خطيرا، وليس له فى نيل
منصبه سابقة فضل، ولا عرف عنه الذكاء لا قدر الله، وإنما هو
منصب يتمنى كل حزب أن يكون شاغله من أعضائه، وحتى لا يزيد
هذا المنصب الخلافات بين الأحزاب استقر رأى أن يشغله شخص
لا ينتمى إلى أى حزب، ولا يعرف عنه أنه يميل إلى حزب بعينه وبين
شخصيات مصر جميعا لم يكن هناك إلا عبدالمحسن باشا وفيق
فشغل المنصب.

وتعرف فى إحدى الحفلات بنجاة طلبة. وفى خبرة أدركت نجاة أنه
طلبتها. فعزت وإن يكن غنيا إلا أن غناه ليس بالقدر الذى يتيح لها أن



□ نفوس من ذهب ونداء

تنال ما تشاء. أما عبدالحسن باشا فغنى لا نهاية له..
كان الباشا فى السبعين من عمره. وحين خرج من هذا الحفل كان
موعد لقائه بنجاة قد تحدد.
والنقيا.

كانت نجاة حاملا منذ لقائها الأول بالباشا، وكانت قد أخبرت عزت
أن يحدد موعدا مع طبيب يعرفانه ليخلصهما من الجنين فى شهره
الأول. ولكن بعد أن تعرفت بالباشا اتجه رأبها إلى تفكير آخر.
- أنت لا تعرف منذ متى وأنا أحبك.

- هل كنت تعرفيننى؟

- ومن فى مصر لا يعرف عبدالحسن باشا وفيق؟
- لم أكن أتصور أن سيدة فى جمالك تحب رجلا فى..
- لا تكمل.. أن أجمل سيدات مصر يتمنين منك نظرة.
- أنت تبالغين.. انتى رجل عجوز.
- عجوز.. أنت عجوز.. فليسألنى من لا يعرف وأنا أدله على الخبر
اليقين.

- فأنت ترين اننى.

- شاب فى العشرين.. صحة تاكل الحديد.. ولكن هناك شرطا.
- أأمرى.

- تحتفظ بهذه الصحة لى أنا وحدى.

- أنت تعرفين أن زوجتى ماتت.

- وأنا من أين أعرف.. ربما لك زوجات أخريات تخفين.

- زوجات بالجمع.

- صحتك هذه لا يكفيا عشر نساء.

□ نفوش من ذهب ونحاس

- طمأنك الله.
- احلف.
- أحلف.
- أنا لا أصدقك.
- لا تصدقين يمين الباشا.
- أنت معي.. لست الباشا. انك هنا الولد الشقي الذي لا أضمن كلمة من كلامه.
- وماذا تريدن حتى تضمني؟
- هناك حكاية لم أؤكد منها.. اذا تأكدت سأخبرك ما الذي أريده.
- * * *
- اليوم لأبد لنا من حديث.
- أنا تحت أمرك.
- لأبد أن نتزوج.
- ماذا؟
- لاشك أنك سمعت..
- لماذا؟
- أولا هذا هو الوضع الطبيعي.. فأنا سيدة مطلقة، وأنت مهما تكن فأنت غريب. ومقابلتي لك ستثير الأقاويل.
- ولكن مركزي.. ماذا سيقول الناس اذا أنا تزوجت.
- أتخاف أن يقال تزوج بسنة الله ورسوله، ولا تخاف أن يقال اتصل بسيدة عن غير طريق مشروع؟!
- ولكن.. ولكن.
- ولكن ماذا أنا لست من أسرة بسيطة.

□ نفوس مر ذہب و نیکاس



□ نفوثة هو ذهب وفضاء

- هذا مؤكد. فأنا أعرف المرحوم والدك. وليس هذا هو الاعتراض مطلقا. إنما أخشى أن يضحكوا من رجل فى السبعين.
- سنك. هذا شأنى أنا وحدى.. وأنا وحدى التى أعلم حقيقة سنك حين تخلو بنا الحجرة.
- يا حبيبتى.
- ومع كل هذا فأنا لم أقل لك الخبر المهم.
- وهناك أيضا خبر مهم.
- انى حامل.
- ماذا؟
- الذى حصل.
- لقد عشت مع زوجتى أكثر من أربعين سنة، ولم أنجب منها فأرا.
- ولكنك فى شهور قلائل ستنجب منى طفلا. وانى واثقة أنه سيولد بهذه الشوارب التى تحلى وجهك، والتى يرسمها رسامو الكاريكاتير بدلا منك، ويقهقه الباشا من فرح أو سعادة أو من النكتة. فقد اختلط عليه الأمر ولم يعد يدرى، ويعود إلى الجد لحظة.
- ولكن اسمعى.. اسمعى.
- قل.
- ألا يحسن أن يكون الزواج عرفيا؟
- ولماذا؟
- أنت تعرفين أن ثروتى كبيرة. والطامعون فيها كثيرون. وإذا عرفوا اننى تزوجت سيرفعون دعوى سفه على. اذا كان الولد الأهل عدلى رفعها على أبيه وهو أبوه. وإذا كانت دعوى السفه رفعت على زكريا باشا عبقرى السياسة والقانون ألا ترفع على؟ أما الزواج العرفى

□ نفوس من ذهب ونذار

المستور فأنت تنالين به حقوق ابنك.

- بعد الشر.

- اسمعى الكلام ومع ذلك لا يشعر به أحد.

- أنا موافقة.

وتم الزواج بشهادة عبود عبدالقادر السفرجى، وسمهان عبدالمولى السائق.

واستطاع الحمل بعد نكاح أن يظهر للعيان فى غير خجل. وقد أصبح هذا الحمل مزحة صويحبات نجاه تشاركهن السخرية منه. كما أصبح حديث الدوائر التى لا عمل لها إلا الحديث.

وعلى وعزت يضحكان مع الضاحكين.

وقبل أن يفرح الباشا بقدوم ابنه انتقل إلى العالم الآخر وانفجرت قضايا الميراث.

والعجيب أن الطفل جاء نسخة طبق الأصل من عزت. فقد أبت السماء أن تشارك الخاطئين فى جريمة اختلاط الأنساب. والأعجب أن عزت أصبح هو الذى يدور مع نجاه عند المحامين ليتمكن من إثبات بنوة ابنه إلى رجل آخر. ولكن شهادة الميلاد على كل حال قد كتبت اسم الطفل وجدى عبدالمحسن وفتى.. وذهبت الشهادة فى طريقها للقضائى، واستمرت علاقة عزت بوضعها هذا العجيب. واستمرت معها القضايا توشك لا يبين لها نهاية. فالثروة ضخمة، وأبواب الطعن والتلاعب بالقانون هيئات أن تعرف حدا تقف عنده.

وهكذا أصبح عزت مثل على سخرية الساخرين. فما بعجيب أن تتوثق بينهما الصداقة. وكلاهما غنى، وكلاهما فارغ بلا عمل.

فى هذا الفراغ وفى هذا الشعور من كل منهما أنهما يعيشان

لأنفوش من ذهب ونداء

الحياة، ولا يعيشانها، بدأ ذهابهما إلى السباق يكون منتظما، وبدأ أيضا جلوسهما إلى مائدة القمار يكون يوميا.

ويحدث مالا يتوقعه أحد. تحاول راوية أن تمنع زوجها من اللعب، فإذا هي ولأول مرة تواجه من على عصيانا.

كيف استطاع أن يعصى. لم يكن القمار قد تمكن منه إلى درجة الايمان. ولكنه أحس فجأة انه يجب أن يعصى. ويحدث شيء آخر لا يتوقعه أحد. لقد بدأ على يتوارى بقبحه في جمال عزت، ويبحث عن النساء، ويحاول أن يتعرف بهن فإن رفضته واحدة لا تطيق قبحه، قبلته أخرى يغريها ماله.

ليس لعزت زوج ولا ولد رسمي. فهو حر يفعل بماله ما يريد. أما على فله ابنته وله زوجته.. أن ذهب عنه هذا المال، فأى مصير يمكن أن ينتظرهما أو ينتظرانه.

أصبحت راوية تنظر إلى الحياة في هلع، وأصبحت فجأة تتمنى أن تعود إلى حياة اللالة، ولكن مازال هناك أمل يمكن أن تلجأ إليه.. ومالها لا تحاول.

□ نفوثر من ذهب و نكاح



□ نفوس من ذهب وفضة

أصبحت سهير ممذوح حرم الباشا رسمياً، وتصدرت بيت زوجها، وأحسّت بمكانها هذا الجديد، وخشيت العيون الرواصد حواليهما، سواء كان ذلك في المنزل أو في خارجه، فأمرها اليوم وهي الزوجة الرسمية التي تصحب الباشا في كل مجتمع غير أمرها في بداية الزواج يوم كانت تنستر عن العطن. لقد كان شعورها يومذاك يغريها بهذه الصلة التي أتاحتها لراشد فقد كانت تحس أنها عشيقة وليست زوجة. أما اليوم فالوضع مختلف سهل الاختلاف. ومادامت هذه الصلة بينهما وبين رشاد قد مرت لم تلكها اللسنة. فالحمد لله، وأصبح لابد لها أن ترعى مكانتها الجديدة ومستقبلها.

ولهذا لم تجد بأساً أن تليى دعوة راشد لزوجها إلى العشاء، ولم تجد بأساً أيضاً أن توطئ صداقتها بخديجة. وبطبيعة الحال وجدت شهيرة في اسم زكريا باشا ذلك الطنين الذي تهواه، فسعت إلى صلتها هذه بسهير، تزويدها ثبوتاً ورسوخاً وقد وجدت سهير فيها خير صديق. فهي تماماً التي تصلح لصداقتها. فإن تكن الثقافة والقراءة والاصلاص قد أفسدت عقل خديجة وجعلتها في جلوسها إلى السيدات تبدو غريبة، وإن بئلت غاية الجهد أن تبدو متوائمة مع الجلسة. فإن شهيرة سيدة كما يجب أن تكون السيدات التي تحبهن سهير.. حكايات الآخرين والتعليقات الخبيثة أحياناً



□ نفوس من ذهب ونداء

والفاجرة أحيانا أخرى والذكية الطريفة غالبا .
كان أقصى أمل تسعى إليه سهير أن تأتي لزوجها الشيخ بمولود، وقد سألت الأطباء فوجدت أن ما تحلم به أمر يمكن الحدوث .
وهكذا ازدادت صلتها بشهيرة توطدا . فهي رفيقتها إلى كل المظان التي يمكن أن يحقق أملها . وحذار أن توحى إليك هذه الجملة بتفكير غير شريف . فهي فعلا تريد مولودا لذكريا . على أن يكون ذكريا أباه فهذه المظان هي الأطباء غالبا . وفي أحيان قليلة تكون هذه المظان بيوت الله يتلمسن البركة عند المشايخ الأطهار وال البيت . وفي مرة واحدة صحبتها شهيرة إلى أحد السحرة ولم تكررهما ، فقد خشيتا أن يغضب الباشا إذا علم .

وكان حمل شهيرة سببا رائعا لتكون زيارتها للأطباء طبيعية، وكانت صداقتها لسهير تجعل رفقتها بهذه الطبيعة نفسها .
وقد دلت بعض دلائل لا تكفى للتأكد أن أمل سهير وشيك التحقيق .

* * *

كانت راوية تريد أن تقصد إلى سهير مباشرة، ولكنها لا تعرفها . وقد خشيت من لقاء خشن ستكون سهير معذورة فيه بعد الذي فعله عدلى مع أبيه .

ولم تفكر راوية كثيرا، وإنما قصدت إلى خديجة . فهي تعرف حسن مداخلها للأمور وذكاءها وحكمتها عن التقدير .

- مطلب غريب سأطليه منك .

- على كل حال أنا لست غريبة وتستطيعين أن تطلبي منى ما تشائين بلا استثناء .

- حتى ولو كان مطلبيا شاذا .

- إن لم تقصدي صديقك المخاصة بالمطلب الشاذ فمن تقصدين؟

- أريد أن أصلح ما بين عدلى وذكريا باشا .

- أرى مطلبك حكيما وعاقلا بل رائعا أيضا .

- أنت تعرفين أن عدلى انغمس في القمار، وقد فشلت معه كل وسائلى،

ويخيل إلى أن شعوره بغضب أبيه عليه هو الذى يجعله يندفع هذا الاندفاع .

- اسمعى أن تفكيرك كله صائب، ولكن لى رأيا .

- قولى .

□ نفوس من ذهب ونداس

- أنا سأسافر غدا إلى الحجاز مع الباشا لنحج. ولن يتاح لى أن أقابل
زكريا باشا إلا بعد عوبتى ولكن لى رأيا.

- وما هو؟

- ما سبب خلاف عدلى مع الباشا؟

- زواج الباشا.

- سأترك الحقائق وأنزل معك الآن إلى سهير أعرفك بها، وسترين أنها

تستحق كل خير.

- أظنن ذلك؟

- هلمى بنا.

* * *

كانت سهير جالسة مع شهيرة، وأصبحت كل دقيقة تمر على سهير دون
أن يحدث جديد فيها يدينها من أملها. وكانت السيدتان تتوقعان أى زيارة
إلا أن تكون راوية.

ولكن شهيرة سيدة تعرف كيف تستقبل من يأتى إلى بيتها، حتى وان لم
يكن متوقعا.. بل حتى أن لم يكن كريما معها.

قالت راوية:

- أظن يا سهير هانم لم تكونى تتوقعين هذه الزيارة منى.

- على العكس كنت أتوقعها من زمن بعيد.

وقالت شهيرة:

- طالما قلت لك أن سهير مندهشة أنك لم تأتى إليها.

- كنت خائفة يا سهير هانم.

- أظن هانم هذه ليست فى محلها.

- أنت مكان حماتى.

- ولكنى أقاربك فى السن. ونحن أقارب، وقد فرحت بهذه الزيارة فرحا لا
تستطيعين أن تتصورى مقداره. فقد كان بعد ابن الباشا وبعدك عنه
ينغصنى دائما، وليس له فى الدنيا إلا أنت وزوجك.

- البركة فى حضرتك.

- أنا لا أستطيع أن أعوضه عن ابنه وزوجة ابنه وحفيدته التى لم يرها
حتى الآن.

وقالت خديجة فى ذكاء لبق:

□ نفوس من ذهب وفضة

- يا أختى، لقد أحضرتنى بلا مناسبة.. لا لزوم لى فى هذه الجلسة أبدا.
- لم أكن أعرف أن سهير هاتم..
وقالت سهير مقاطعة:
- هيه؟!
- سهير لطيفة إلى هذا الحد.
وقالت خديجة:
- وعرفت.. أروح أنا لأكمل حاجات السفر.
وقالت شهيرة:
- حج مبرور ياستى والله لولا الذى أحمله لذهبت معك.
وقالت خديجة:
- فلماذا لا تأتين أنت ياسهير، وما أنت لا تحملين شيئا.
وقالت شهيرة فى تخابث مقصود:
- وكيف عرفت؟
وقالت خديجة فى فرحة مندهشة:
- ما هذا؟! أصبح هذا الكلام؟
وأطرقت سهير وقالت شهيرة:
- ولما لا ياستى.. السنا مثل الأخريات؟
وتحمست خديجة:
- ردى يا سهير.. صحيح هذا؟
وقالت سهير فى جمجمة:
- والله أخشى أن أقول نعم. وأنا لم أتأكد بعد.
- يا أختى قولى نعم ولا يهكم.. ألف مبروك.
وقالت رواية فى فرح صادق. فهى تتمنى أن تنجب سهير. فوجود طفل
لها سيجعلها تزاد حبا لابنتها هالة.
- ربنا يجعل دخلتى عليك مبروكة إن شاء الله. ولو كانت غيرك وأنت أول
مرة تريننى فيها لظننت اننى فرحانة من وراء قلبى، واننى كنت أتمنى أن
يفوز زوجى بثروة أبيه، ولكن المال والحمد لله كثير، ولا ينقصنا، وليس لنا
إلا هالة ولا تنوى أن نجيء بغيرها. وكم أتمنى أن يأتى لها منك عم قريب
من سنّها فيصبح لها كآخ من دمها ولحمها تستطيع أن تعتمد عليه.
وفرحى بهذا الخبر فرح واحدة أحبتك من أول زيارة، وفى نفس الوقت تريد

لأنفوش مر ذهب ونخاس

أخا لابنتها. فصدقيني أنا فرحانة.
- يعلم الله يا راوية لقد صدقتك. وأنا لم يكن يهمنى أن يكون المولود ولدا
أو بنتا ولكن بعد الذى قلته أصبحت أتمنى أن يكون ولدا.
- سادعو لك عند شباك النبی إن شاء الله يا سهير، وسيكرمك الله بأذن
الله أفوتكم بعافية.

هل أرسل لك السيارة يا راوية؟

وردت سهير:

- سيارتنا ستوصلها لا تحملى هما.

* * *

حين قصت سهير على زكريا باشا ما حدث.

- ألم تعرفى أن كانت جاءت يعلم على أم بغير علمه.

- هي لم تقل ولكن الذى أتصوره أنها لم تقل له.

- أنا أمامى حل واحد.

- ما هو؟

- أنا أستطيع أن أعين على فى وظيفة خارج القطر.

- خارج القطر؟

- نعم مثل فرنسا أو سويسرا. فهو مهندس وعليه أن يمارس هذا الذى

تعلمه ليحس أنه يصنع شيئا فى الحياة.

- ولكن يا زكريا أن له ابنه فكيف يكون الأمر..

- نعم هذا ما أريد الكلام فيه؟

- ماذا تريد؟

- أريد أن أربى البنت.

- وماله؟

- أنا أعرف أنك تتمنين طفلا وحفيدتى عندك ستكون مثل ابنتك.

- أنا أريد أن أربى حفيدتك لأنها حفيدتك، لا لأنى أريد طفلا.

- وما البأس أن تجمع هالة بين صفتى حفيدتى وابنتك فى وقت واحد؟

- أنا عندى طفلى ولست..

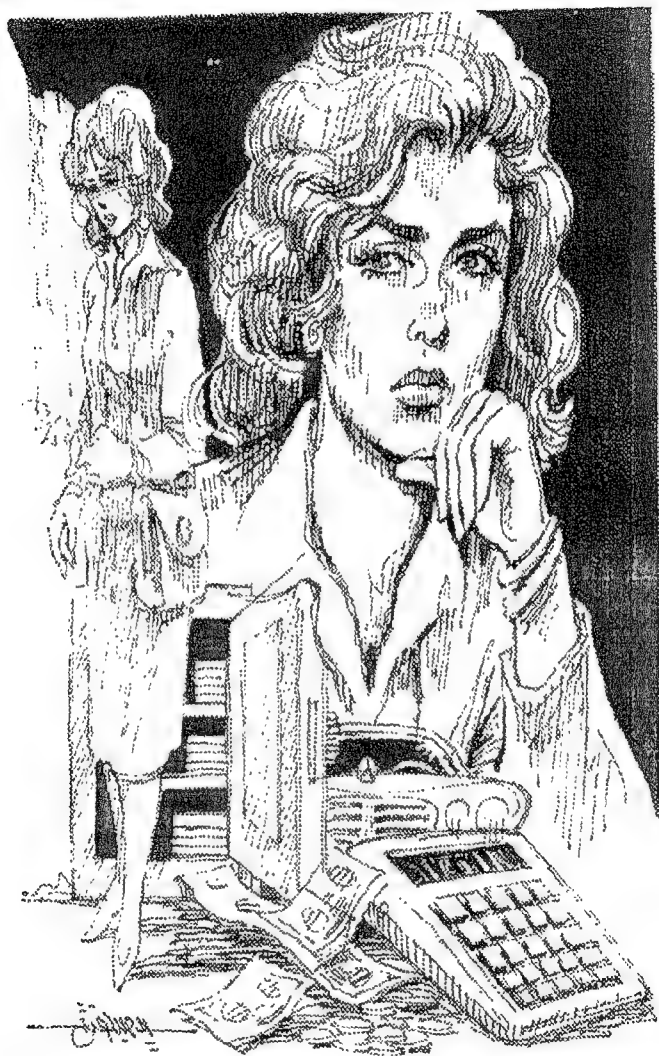
- ماذا.. ماذا قلت؟

- كنت أريد أن أتأكد قبل أن أقول لك، ولكن ليس من المعقول أن تعرف

صاحبأتى وأنت..

- هل أنت جادة؟

□ نفوٹ من ڈھب و نڈلم



□ نفوس مر ذهب ونداس

- وهل يمكن أن أهز في مثل هذا؟
- وهل أنت متأكدة؟
- أكاد.
- وحجم زكريا باشا وجلس مفكرا.
- ماذا يا زكريا أكثر على طفل منك؟
- ياسهير فكرى فى الحكاية.. ما هذا الكلام الذى تقولين؟
- والله أنا زعلت.
- يابنتى.. لقد ظلمتك حين تزوجتك. وبهذا الطفل يكون ظلمى لك قد تضاعف.
- وهل شكوت لك؟
- سهير أنا لا أحتاج أن أسمع منك شكوى حتى أعرف الحقيقة.
- الحقيقة أنك تخاف أن يغضب عدلى أن جئت له بأخ. فأنت مهما يفعل بك تحبه.
- اسمعى ياسهير. عدلى أنا ظلمته، لانى شغلت بنفسى وبالسباسة ولم أعن أقل عناية بتربيته ولهذا أنا أشفق عليه. أما الطفل الجديد، فأنا أحبه أكثر من عدلى لانى لن أرى منه ما رأيته من عدلى.. حتى لو أصبح فى خلق عدلى فإن الحياة لن تتيح لى أن أرى منه شرا. أما تفكيرى الذى رأيته، ووجومى فهو أننى أهملت ابنى الأول بزحمة الحياة. وهانذا ساهمل ابنى الثانى بفضل الموت.
- زكريا ماذا تقول؟
- لقد جاوزت الخامسة والسبعين. فكيف يمكن أن تتيح لى الحياة تربية ابن مازال جنينا فى عالم الغيب.
- أهذا ما يحزنك؟
- ومع ذلك فأنا لست حزينا. ففركك بطفلك يجعلنى فرحا به أنا أيضا.. كل ما فى الأمر اننى أفكر.. أعجيب على رجل فى مثل سنى أن يفكر.
- اتركها على الله يا زكريا.
- إن الله سبحانه لديه الكثير الذى يشغله. هل كان لابد لرجل مسن أن يشغله هو أيضا بطفل يأتى به وهو فى آخر العمر.
- لا تحاول أن تفكر لله أيضا يا زكريا.
- استغفر الله العظيم.
- استغفر الله العظيم.



لم يكن ذهاب راشد إلى الحج خطوة عابرة، ولكن الحقيقة أنه مع كل العريضة التي صخبت بها حياته مؤمن عميق الايمان، وهو منذ تزوج استطاع أن يجعل من خديجة أنسه الصاحب حين يشاء، وزوجته حين يقتضى الأمر، فهو تائب.

وحين أتى إليه أسامة أراد أن يقل من كتابه صفحات يخشى فى فترات ملل أن يغرى بفتحها ويعود إليها.

فصحب خديجة واتجه إلى بيت الله واستلم أركان الكعبة، وتغشاه ذلك الرهب الأمين الذى يعرفه من يعرفون الله، وانسربت من عينيه الدمعات، والتفت إلى خديجة تظللها صفحة البيت الحرام، فرأى فى وجهها الخشوع حيا فواحا بأريج من العطر حسب اللحظات أنه يراوحها من سماوات صاحب البيت واستغفر الله، وأطرق وظلت هى رانية العينين إلى الكعبة، يوشك من يراها أن يظن أنها تستشف من وراء الأستار وجه عزيز كريم.

طافا وأديا مناسك الحج، وانتقلا إلى بيت النبى، وما أن وقف فى

□ نفوس من ذهب ونحاس

رحابه راشد حتى ذهل عن الدنيا وتولته خفقة أرعشته فإذا هو بكاء وبكاء، يكاد جسمه يستحيل إلى عبرات، وارتمى على أعتاب النبي، كأنه صديق قديم يلقي بنفسه إلى أحضانه، وراح يصيح هذا مكان الخطائين يا رسول الله فاشفع.. اشفع فربما أخطأنا لتشفع.

وأحست خديجة أن بينها وبين النبي سببا فهي سمية حبه الأول وحضن رسالته الدفء، وهي منذ عرفت الحياة تركع في إيمان وتسجد في صدق مع نفسها ومع الله.. أن القبر الذي أمامها يضم من الدنيا أحب الدنيا إليها، ويضم من الآخرة وسيلتها إلى أجمل ما تعد به الآخرة من لقاء وجه الله.

نسى راشد أن بجانبه زوجته، بل نسى أنه زوج، ونسى أن له ابنا ينبغي أن يدعو الله في هذه السدة الزكية.

ونسيت خديجة أنها في صحبة زوجها، بل ذهلت عما يحيط بها، ونسيت وهي الأم ابنها.

حتى إذا هدا بعض الروع من الزوج والزوجة أشار المطوف في هدوء صوته وكأنه أمر عادي ليس له ما له من جدال وسموق.

- هنا كان ينزل الوحي على رسول الله.

وانتفض رائد وكأنما مسه المس.. هنا.. هنا التقت السماء بالأرض أكرم سماء بأكرم من في الأرض آخر لقاء عرفه الكون. هنا انقلبت موازين العالم من الجبروت إلى المساواة، ومن العزة بالاثم إلى عبادة رحمن السماوات والأرض، ومن الفجور إلى العفة، ومن الوهم إلى الحقيقة، ومن عبث الحياة والموت إلى مجد الدنيا والآخرة، ومن الحضيض إلى القمم الشامخات. ارتدى بجانب مكان الوحي وراح ينظر إليه في خشوع وحب، ثم استجمع وقام فصلى وحين ختم الصلاة أفاق إلى خديجة تنهى صلاتها هي أيضا.

لقد زار راشد العالم أجمع. ولكن شيئا لم يزلز كيانه جميعا كما زلزل في رحاب الله وفي حضرة النبي الأعظم، ليس متصوفا وإنما

□ نفوس من ذهب ونداس

هو مؤمن. فما هذا الذى لقف نفسه جميعا وهزها، فانتفضت كشجرة فى بواكير حياتها تناوحتها ريح عاتية تقتلع شم الأشجار وعواليها، ولكن العجيب أنه أحس أن شجرته ازدادت ثبوتا. فى سموات الإيمان وفى أحضان الخلود.

أحس أنه يريد أن يذوب تخشعا وحمدا لله. أنه مؤمن. فبهذا الإيمان تفجرت فى نفسه هذه الاشعاعات النورانية، فعانق نوعا علويا من السعادة لم يعرفه فى أى لحظة من لحظات حياته.. عريضة كانت هذه اللحظات، أم لحظات مؤمنة قانتات.

مساكين أولئك الذين لا إله لهم ولا دين ترسو على شواطئه الآمنة الجازعات من أيامهم. والهالع من مضطرب حياتهم يقطعون حياتهم هبأة هائمة تقطعت أواصرها بأصولها، وانعدمت طرقها إلى المستقبل، لا تدرى من أين ولا تدرى إلى أين. باختيارها ألقت بنفسها إلى الضياع فشمل الضياع ماضى حياتها ومستقبلها وما بعد المستقبل.

ودع راشد وخديجة الأراضى المقدسة واستقبلتهما على الباخرة جماعة من الأصدقاء.

وحين استقر بهما المقام فى بيتهما بالقاهرة أقاما حفلا كبيرا دعوا إليه من تعودا أن يدعواهم ولكن الرهط المدعو فوجئ بشيئين لو لم يكن الداعى هو راشد، لكانت المفاجأة أعظم وطأة وأشد غرابة. لقد أقام راشد بمناسية حجة وحج زوجته إلى بيت الله الحرام حفلا غنائيا أحيته أم كلثوم، والأعجب من ذلك أن الخدم داروا فى الحفل بكؤوس الويسكى والكونياك. وكل ما تعود رشاد أن يقدمه فى ولائمه الشئ الجديد الوحيد الذى خجل أن يعمل فى يومه هذا أن يشارك أصدقاءه فى شرب الخمر.



انقلب زكريا باشا إلى إنسان آخر بعد أن وهب له يحيى،
وجاءت حفيده هالة لتعيش معه بعد أن سافر أبوها إلى سويسرا
ليعمل مهندسا فى شركة عالمية للكهرباء.

لم يصبح زكريا باشا ذلك الرجل الوقور الذى لا ينطق كلمة إلا
بعد أن تمر بمئات المرشحات فى عقله الكبير وثقافته الواسعة
التي جمعت ثقافة السياسة والقانون والأدب والمجتمع جميعا فى
رأس واحد هو رأس ذلك الرجل.

أصبح الآن لا يغادر بيته فرحا بعبط الطفل الوليد، وسذاجة
الطفلة التي تتحطم على شفيتها الكلمات.

والأعجب من ذلك أنه حين يجلس فى مجتمعه لا يفوته أن يذكر
شيئا من ضحكات ابنه أو بكائه، وشيئا آخر من انقلاب الكلمات
إلى الغاز على لسان حفيده.

□ نفوس من ذهب ونداء

أصبح الرجل الذى لم يهتم بآبئه فى بواكير الشباب، فجعله يخرج إلى الحياة مثقفا ثقافة امرأة جاهلة أو ثقافة طاه على أكثر تقدير. يحاول اليوم أن يتقف أبنة هذا الابن أعظم ثقافة، بل أنه فى تعجله للأيام وفى خشيته أن تعاجله بالنهاية قبل أن ينفذ لابنه وحفيده ما يهفو إليه راح يحاول محاولات تدعو إلى السخرية أن يتقف يحيى نفسه، وهو على كتف أمه أو كتف مربيته.

ويوم تصبح سن هالة صالحة لأن تذهب إلى المدرسة يذهب هو شخصا معها إلى مدرسة السكركير، وتشعر الراهبات بأهمية الطفلة عند جدّها، ويقصد هو أن يؤكد هذا الشعور. فيذهب بعد ذلك كل أسبوع ليكون على متابعة تامة لتقدم حفيدته فى الدراسة.

وتدرك سهير أن فى أرضائها لها له أرضاء للبأشا، فتحرص على أن تدللها دائما. ولم تكن سهير غبية، فلا يقوتها أن تجعل الطفلة تخاف جدّها حتى لا تكون حياتها كلها تدليلا. ويحمل البأشا مسئولية التأديب بقلب خائف. ولكنه يدرك أنه لابد من ذلك لتكون هالة كما ينبغي لها أن تكون.

ويوم يصبح يحيى صالحا للذهاب إلى المدرسة يقضى البأشا ليلة بيضاء، فلا يزوره النوم حتى بواكير الصباح.

لقد عاش حتى دخل يحيى إلى المدرسة. فما الذى يخبئه الغد لهذا الطفل؟ وأى مصير يلقى إليه إذا هو ذهب إلى لقاء به قبل أن يشب الطفل ويصبح جديرا بمواجهة الحياة مواجهة جديرة بالحياة وبإنسان الحياة. لقد كان شبح عدلى يخيف زكريا بأشا.

□ نفوس من ذهب وتكاسر

فهو يخشى أن يصبح الأخ مثل أخيه، بل أشد ما يخشاه أن يصبح عدلى مسئولا عن يحيى. ويحى بعد قضيب لدن يسهل تشكيكه، وويل ليحى إذا شكل أخاه على شكله هو.

ان سهير طيبة سمحة النفس. وقد ينفع هذا فى أن يجعل يحيى نقى الضمير قريبا إلى نفوس الناس، ولكن هذا بالتأكيد لا ينفع يحيى فى أن يكون مثقفا. فليست سهير على شىء من الثقافة.. ليتها كانت مثل خديجة. ان راشد لاشك مطمئن على ابنه. فقد جاء به وهو فى سن باكرة، ثم هو لا يخشى عليه الغد إذا اختار هذا الغد أن يسلك راشد طريقه إلى الله.

طالما نادينا بأهمية تعليم المرأة وظنوا بنا الظنون، وحسبوا أننا بما ندعو إليه نحاول أن نقرب إلى الغرب فى عماية، ودون نظر إلى ديننا وراثنا. وأنا لا أعرف فى الدين شيئا يمنع تعليم المرأة. بل أن ديننا أول دين جعل لها كيأنا وزمة مالية مستقلة عن زمة الزوج.

أهذا وقته. من ليحى فى غده.

لقد جاوزت العمر وأنا أعلم أنى اليوم أقف على مشارف الجانب الآخر من الحياة.

أرأيت. لا يستطيع العقل أن يحل كل المشكلات. لابد من هذه الغرفة المضيفة من الايمان لنحيا بها. فلولها لجزعت أيامى كلها وقضيت ما بقى لى من الحياة مجتونا ملهوبا على مستقبل ابنى هالعا من الغد. وحينذاك أبعد أيامى الباقية فى الخوف، ويسلمنى الخوف إلى سوء الراى.. ليس لى إلا أن أكل الأمر إلى

□ نفوشر من ذهب ونظام

الله. والموت والحياة بيده. وبهذا الموت أو الحياة يتحدد مصير
ابنى يحيى وحفيدتى هالة.. اذن فهل نحن مخيرون أم مسيرون.
نحن لا نتحكم فى مولد أو موت واذن...؟!

ما بين هذين نحن فيه مخيرون. ومصير يحيى الا يرتبط
ارتباطا وثيقا بموتى وحياتى.. أهو بعد هذا مسير أو مخير؟
لقد اخترت أنا أن أجيء به، وأنا فى هذه السن. وهذا فى ذاته
اختيار. ثم حين يشب عن الطوق هو مخير فيما يفعل. أهو مخير
أم تحكمه تربيته.. وكيف سار نهجه فى الحياة وكيف رياه من
رياه. ولكن الذى رياه أيا كان سواء كنت أنا أم كانت أمه أم كان
أخاه قد اختار له الطريق. فالاختيار اذن يحكم حياته.. سواء كان
ذلك اختياره هو أم اختيار من أشرف على نشأته. لا يعقل أن
السماء وهى العدل المطلق تجبر الانسان ثم تحاسبه. لا محاسبة
إلا مع الاختيار. وبهذا يختلف جبار السماوات والأرض، وهو
العدل فى قمم العدل الشامخة، عن الجبارين فى الأرض الذين
ينزلون حكمهم على من لا يملكون الاختيار.
أجبر واختيار ومدرسة يحيى غدا، وأنا لا أدري ما مصيره وما
مستقبله.

اننى تاركها إلى الله.. وهل بيدي إلا أن أتركها لله.
ومن يدرى لعل يحيى.. أعود بالله.. ليس لى غير الله.. أنا لم
أقصر.. ولكننى قصرت.. أتزوج فى هذه السن، وأتى به أيضا ثم
أزعم اننى لم أقصر.
لقد أخطأت وابنى.. لهفى عليه.. هو الذى سيتحمل الخطأ لا
أنا.

□ نفوس من ذهب ونحاس

أخطأت مع عدلى حين أهملت شأنه..

وأخطأت مع يحيى حين جئت به.. وحسبى الله..

ولكن أكنت أملك إلا أن أجيء به؟

طبعاً.

وأمه.

ما شأنها؟

ما ذنبها.. انها شابة وتريد أن تصبح أما.

فليكن إذن أبو ابنها غير هذا العجوز الذى هو أنا.

الخطأ يبدأ يوم تزوجتها.. اذن.

لا سبيل لأى اذن.. لقد أخطأت وعلى وحدى.. يا ليت على

وحدى يقع العيب.. وإنما ولدى هو الذى سيحمل العيب، ولا ذنب

له فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله.



نظرت شهيرة إلى ابنتها طويلاً.. لم تكن تدري لهذه النظرة سبباً، وإنما هي ألقت عينها على بهيرة، ثم ثبتتها يحسب من يراها أنها نظرة بلهاء خالية من أى معنى. إلا أن نظرها اتجه إلى هذا المتجه، ثم شرد ذهنها وهي فى هذه اللحظة. ولكن لو أراحت عن الإنسان فيها ما يتغلف به الإنسان من أسرار لرأينا فى جوانحها هلعا على ابنتها، أو اذا شئت الدقة فى التعبير، ومالك لا تشاء، مادمت قد التزمت أنا أن أقص عليك، وأن أكون دقيقاً حين أخاطبك.

كان هلع شهيرة على نفسها لا على ابنتها، لقد قبلت زواجها من سامى، وحسبت أن الزوج بلا شخصية هو أصلح زوج لها، ثم ما لبثت أن تبينت أن الزوج بلا شخصية لا يصلح للحياة مطلقاً، فهو ما يلبث مع الأيام أن يصبح شيئاً بلا طعم ولا لون ولا رائحة. قد يكون مريحاً لزوجته، ولكنها تلك الراحة التى تسعد بها المرأة من خادم فى البيت، وتشقى بها غاية الشقاء من زوج يفترض المجتمع أن يكون هو السيد. وسامى مسكين لا يستطيع أن يكون سيداً أبداً. فالسيد لابد أن يكون مهياً لذلك بخلقه الشخصى أو بماله أو بهما جميعاً.

□ نفوس من ذهب وفضة

يمكن أن يكون السيد سيّدا أو رجلا ذا وجود إذا كانت الطبيعة قد وهبت له هذا السر العجيب الذي يجعل الإنسان معتزا بأنه إنسان. ويأن الله كرمه على العالمين، فلا ينبغي له أن يذل الإنسان الذي كرمه الله فيه. يمكن أن يكون رجلا ذا وجود إذا استطاع أن يروض أقدامه أن تسير على هذه الشعرة الواهية التي تفصل بين الإنسان الذي يحافظ على كرامته، وبين الإنسان التافه يحاول أن يحجب ثقافته بغروره.

وتلك موهبة ينميها البيت والمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان. وليس من الحتم أن يكون المرء غنيا لتمتد هذه الموهبة، وإنما من الحتم أن يكون هذا الإنسان نابتا بين أناس يعرفون كيف يكرمون أنفسهم، وكيف يكونون كراما على الناس، يستغنون عن الغنى بالعفة، وعن الغرور بلين الجانب وحسن المعاشرة.

وقد يستطيع المال أن يحجب عيوب الشخصية المتلاشية، ولكن قليلا ما يحجبها ثم ما يلبث الأقربون أن يدركوا الحقيقة، ويسقط حجاب المال، وتبقى الشخصية الزائلة.

وكان سامى يجمع بين الشخصية الضائعة وبين قلة المال وابتكر لنفسه أيضا عدم العفة، فهو يريد أن يلبس أحسن ملابس ويأكل أحسن مأكلا، ولا يجد حرجا من نفسه ولا من كرامته أن يلقي بهذا الثقل أيضا على زوجته، غير مكثف أنها تقوم بشأن البيت وحدها.

وقد يكون عيب سامى هذا شيئا لا يصيب إلا خاصته الأقربين ومن يلاصقونه في الحياة. ومن أقرب إليه من زوجته ومن الصق به منها؟ ولكن ألا يكفي أن يصاب منه هؤلاء.. وما الناس جميعا إذا كان هؤلاء لا يكونون له الاحتقار.

حين تسقط قيمة الزوج عند زوجته يصبح كل شيء لها مباحا. ربما تكون شريفة الجوهر.. وربما تكون هي نفسها أبية تنأى بشرفها عن الأسنة اللاهية التي تنتشر بالمجتمع لتجعل السر فيه جهرا، والخفي علنا، والخبى شهيرا، والمستور مفضوحا.

□ نفوس من ذهب ونحاس

ولكن زوجا كزوج شهيرة كفيل بأن يجعلها تنتقم منه حتى ولو كان عرضها هو أداة الانتقام. وقد تنازعها الرغبة عن العفة، وقد تغلب العفة آخر الأمر. أو قد تنتظر المرأة انتظارا غير لهيء وغير مكترث، ولكن انتظار ترقب، وقد تعرض لها سائحة الخيانة، وقد تتردد وقد تقبل أيضا.

كانت شهيرة وهى تنتظر إلى ابنتها فى هذه الفترة التى تريد فيها والتى توشك فيها أن تقبل.

وكان الذى يعرض إفرصة صديقا لزوجها جمعت بينهما صداقة طبيعية. فهو رئيس زوجها فى العمل. ويتمتع سامى برضاء شكرى بك الكيلانى، فهو يحسن أن يكون مطيعا.

ومرض سامى بضعة أيام فزاره شكرى.. ورأى شهيرة فتوثقت الصداقة بين شكرى بك الكيلانى و.... وسامى.

وكان طبيعيا أن تؤدى هذه الصداقة أن يطلب شكرى بك شهيرة هانم كل يوم، ويتحرى أن يكون هذا الطلب وسامى فى مكان العمل. وتنتظر شهيرة إلى ابنتها بهيرة.

أى غد ينتظرك؟!

أب موجود بلا وجود!!

وأم لا تمنع غير زوجها أن يتصل بها.. ولا ترى بأسا أن توغل العلاقة إلى أبعد من ذلك.

بهيرة.. أى مصير ينتظرك؟!



□ نفوش من ذهب ونحاس

نزل راشد باشا من سيارته والتفت إلى السائق عبده خليل فى هدوء:
- سيأتى احدهم لتسلم السيارة.. سلمها له.
- أمرك سعادة الباشا.

ودخل راشد باشا إلى حجرة مكتبه، وجلس إلى المكتب البالغ الأناقة الذى ينتمى إلى عهد لويس السادس عشر، والذي يقال أن بعض وزراء هذا العهد كانوا يجلسون إليه، ولكن راشد لم ينتظر إلى المكتب الأنيق، وإنما كل ما فعله أن خلع الطربوش وجلس على كرسى المكتب ورفع رجله ليستقر بهما على مكتب لويس السادس عشر. ونظر إلى سقف الحجرة ورحلت عيناه فى تهاويل السقف التى تصور ملائكة السماء يدفون بأجنحتهم حول ملاك كبير تباعد جناحاه المذهبان، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وادعة مطمئنة لا تستطيع أن يفزعها أو يشغلها عن اطمئنانها مفرع أو شاغل.. انها ابتسامة ترنو إلى السماء وتطمئن إليها. ومادامت بالسماء قد تعلق فلا شئ يعنيه بعد ذلك.. لا شئ..

□ نفوس من ذهب وفضاء

وحين توغل العين فى الابتسامة وفى عيني اللالك تجد صفاء وتجد
مرحبا لكل بنى الانسان، يؤكد لها هذان الجناحان اللذان يفرشان
السماء كأنهما ذراعان تتهيآن لاحتضان عزيز عائد.
كان راشد باشا ينظر إلى هذا جميعه، ولكن عينيه كانتا لا تتبينان من
التهاويل شيئا.

يراهن ولا يراها. تتماوج الصور فى عينيه فتبين وتختفى وتلوح حتى
تبدو وكأنها مجسمة واضحة، وتتلاشى حتى ليعلوها الضباب أو كأنها
تمحوها أمواج من الظن وأستار من الأوهام. يفكر راشد باشا ولكنه لا
يفكر، ويندهش ولكن لا يبدو التعجب على وجهه. تتزاحم صور وجوه مع
صور السقف، فلا يتضح رسم ولا تتبلور صورة ولا يتحدد وجه.

ريما توسط أمواج الطيوف أسامة فى وجهه البرئ، وفى كلامه
الجديد الطازج الذى يقع من أنف أبيه وأمه موقع النغم السماوى
المنسجم. يذكر ما تعلم فى المدرسة، ويباهى به، وكأنها تعلمه وحده ولا
يعرفه أحد من الناس غيره. ولا تغيب صورة أسامة وإنما يزحف عليها
وجه خديجة، ويقلب على مدى السنوات التى تزوجها فيها غير حريص
فى قلبه على الترتيب الزمنى، ولا على ترتيب ظهور لهذه التجاعيد
القليلة التى بدأت ترسم فى نيل على صفحات وجهها. قد تبدو أمه معها
وهى فى المرأة أول يوم رآها، ثم قد تقفز السنوات إلى يوم بشرته
للزغاريد بمجىء أسامة، أو قد تبدو وهى تتكلم معه فى خاصة أمورهما،
أو وهى تتكلم فى المجتمعات العامة فتحيط بها هالات من الاعجاب، أو
قد تحيط بها أيضا هالات الحسد. وقد تبدو أمه، وقد يذكر مرضها
وتشبهها بالفراش، وقد يثب وجه حمزة البلاشونى ثم فهمى عبد الحميد
يكبر وجهه ويكبر حتى لا يتنجس لأحد، ولا حتى لأسامة أن يبقى معه فى

□ نفوس من ذهب ونحاس

إطار الصورة. بل العجيب أنه يزيح أسامة أول ما يزيح والأعجب أنه ما يلبث أن يضمه، ويحتويه وكأنه يهدد أحلامه. ويغمض الباشا عينيه، ولكن صورة فهمى متشبثة بالظلام تشبثها بالنور. ويهز الباشا رأسه فتتحى الصورة مرغمة. ويعود نظر الباشا فلا يرى إلا تهاويل السقف، وتعود الصور إلى الوضوح، ثم ترين عليها أستار من الوهم أو أستار من الضباب. وكأنما يثوب راشد إلى مكانه فتعلو وجهه فترة من الأسى، وقد تفكر دمعتان أن تستبيحا عينيه الشامختين، ثم ما تلبث الدمعتان أن ترتدا هالعتين تزجرهما كبرياء العينين أن تظهرا إلا فى العميق فى نفس الرجل الأشم. رافضا أن يبدو منه للعيان ألم، حتى ان كان خاليا إلى نفسه. فهذا المكتب بما يضم من أثاث، وما تحويه جدرانه وسقفه من نقوش أشياء خارجة عن نفسه، لا يجوز لها أن تعرف ما بداخلها أو تطلع عليه.

لم يكن يغيب أن هذا الذى يطالعه اليوم أمر يقع لكل من يعمل فى ميدانه. ولكن الذى كان يدهش له أنه كان يتقى هذا اليوم بكل نكائه وكل خبرته. وفى سرحة تفكير استعاد بها الأحداث الأخيرة أدرك أنه تخلى عن نكائه وعن خبرته جميعا يوم أراد أن يجتاح أسواق البورصة ليكون لابنه أعظم قدر من الثراء. وفى انشغاله بالنظر إلى الهدف عمى عن الطريق وغفل عن مزالقه.

لقد أصبح «ميداس» ملك الذهب الأسطوري الذى أحب الذهب حتى انقلب إلى ذهب. وإذا انقلب العقل وتجاريه إلى جماد حتى ان كان ذهباً كف عن العمل الأصيل الذى خلق من أجله. وانهار الانسان. لأن الانسان تركيب يختلف تماما عن تركيب الذهب.. هكذا الأسطورة. أما

□ نفوس من ذهب ونحاس

فى الحياة فإن العقل يتوقف، والتجارب، تنزوى نليلة، وينهار الانسان. ولكن شيئا من العقل والتجارب او الانسان لا يصبح ذهباً. لقد استعبده المال ففقد الاختيار، وإذا فقد العقل الاختيار فقد معه سبب وجوده فى الحياة. والعجيب أن الانسان صاحب هذا العقل لا يدرك هذا، لأنه لا يستطيع أن يدركه إلا بالعقل الذى توقف عن العمل، ومن هنا أجد نفسى مخطئاً. انتى بدأت هذه الجملة بالتعجب، بينما العجيب حقاً ألا يحدث هذا.

لقد فقد حضرة صاحب السعادة راشد باشا برهان كل ما يملك. وما دنا نريد الدقة فى التعبير، فقد أصبح كل ما يملكه سعادة راشد باشا وبرهان مرهونا وهنا حيازيا لدائنين مختلفين، من بينهم فهمى عبدالحميد وجود هذا الدائن بين الدائنين يجعل راشد على ثقة مؤكدة أن الدائنين لن يتجاوزوا يوم البيع بيوم واحد.

لو أمعن راشد التفكير لكان الحل الطبيعى الذى يؤدى إليه المنطق الأخرس الجامد الذى لا يعرف السماء أن ينتحر سعادة الباشا. فهذا هو أسهل الطرق التى يستطيع أن يسير فيها. فهو لا يطبق أن يرى زوجته تلبس أخلاق الثياب، أو يرى ابنه يتكفف الناس يسألهم ما يرد به الجوع.

ولكن فكرة الانتحار هذه هى الفكرة الوحيدة التى لا تجرؤ أن تقترب من ذهن الرجل الصامد راشد برهان. لقد عاش غنياً، وسوف يثبت لنفسه وللناس أنه يستطيع أن يعيش فقيراً. ويظل على الحالين كريماً على نفسه. ومن كان كريماً على نفسه، فهو كريم على الناس، وإن رغمت من بعض الناس أنوف.

فى لحظته تلك لم يكن يعرف إلا أنه يستطيع أن يعيش، ولكنه فى

□ نفوس من ذهب ونحاس

لحظته تلك لم يعرف كيف سيعيش. كان يدري كل الدراية أنه مؤمن بالله، وأنه لن يذهب إلى رحابه إلا في طريق يرضاه الله لمن يؤمنون به. والعجيب أنه في لحظته القاتمة القاسية العاصفة، بل التي سكنت فيها العاصفة عن خرابه الكامل.. في هذه اللحظة كان يغبط نفسه.. لقد وجد فيها شيئاً أكرم من الغنى وأعلى من المال. لقد وجد الطمانينة إلى السماء والأيمان بالله. ماذا يفعل غير المؤمنين لو تعرضوا لما يتعرض له. كان شامخاً أن استطاعت نفسه أن تقر، وهي تحس أن في ثنايا نسيجها تنداح هذه النفحة الزكية الأمينة الحانية التي لا يستطيع أن يبقياها في نفوس العباد إلا اليد التي أبرأت هذه النفوس، وحنّت عليه حنو يتقاصر عنده حنو الأمهات على الفطيم.

تلك اليد الرؤوم التي تشفع الكارثة باللطف، والجزع بالأمن، والفاجعة بالإيمان.

أسلم نفسه لها، واتضح له الحجرة كما عهدا خالية من الطيوف بريئة من الأخيلة. وانكشفت له تهاويل السقف عن فنها الرفيع الذي طالما بهره إذا ما سمت إليه عيناه.. أهذه الرسوم محجوز عليها هي أيضاً.. أنها فن رفيع لا يقدر بمال، ولكن الدائنين لا يرون فيه إلا سقفاً لا يكمل البيت بدونه، والبيت محجوز عليه. لا حياة للفن في صراع المال.

دخل ادريس إلى حجرة المكتب.

- فهمى بك عبد الحميد.

ولم ينزل الباشا قدميه عن المكتب ولم يجزع، وإن كانت بعض الدهشة قد تولته:

- ما له؟

- في الخارج يريد مقابلة سعادتك.



□ نفوشر من ذهب وفضة

وصمت الباشا.. ليس من المعقول أن يأتى ليتشفى والجرح جديد..
إنن.

- دعه يدخل.

وانزل الباشا قدميه واستعد للقاء الرجل. فمهما يكن البيت محجوزا
عليه إلا أنه حتى الآن بيته.

دخل فهمى عبد الحميد، وأسى صائق مرتسم على وجهه:
- سعادة الباشا!

- أهلا فهمى.. اقعد.. اقعد أولا.

- سعادة الباشا انا لا أعرف ماذا أقول لك.

وعجب راشد أن رأى بواكير دموع تطفو إلى عيني الرجل، وكأنها
تودع دموعا أخرى سبقتها.. وأصبح الموقف أكثر من الانسان.
وأوشكت دموع راشد العvisة أن تطفو إلا أنه زجرها.. فقد تكون دموع
فهمى وفاء لصداقة قديمة، واعتذارا عن موقف سابق، أو أخوة صمدت
فى وجه الأحداث. أما دموع راشد فلن تكون إلا نلة واستكانة وضعفا،
ولن يفهم فهمى أنها إنما انهمرت اكبارا للانسان حين يعلو على
الانسان.

- لقد أصبح هذا البيت من نصيبى مقابل دين فى الأوراق مقداره
عشرون ألف جنيه. هذه أوراق الرهن اقراها سعادتك.

- وتريد البيت الآن؟

- أريدك أن تقرأ الأوراق ياسعادة الباشا.

ونظر راشد فى الأوراق نظرة سريعة كانت كافية لمن هو فى مثل
خبرته. وقال وهو يرد الأوراق إلى فهمى.
- نعم فعلا.

□ نفوس من ذهب ونحاس

- هل ينقصها شيء؟
- لا أظن.
- أعد النظر إليها ياسعادة الباشا واقراها على مهل. ربما كان ينقصها شيء.
- أعتقد أنها كاملة يا فهمى لا ينقصها شيء.
- سعادتك متأكد؟
- طبعاً متأكد.. وأنا على استعداد أن أسلمك..
- سعادة الباشا.. أرجوك تأكد من الأوراق.
- يا أخى إذا كنت تريد أن تتسلم البيت الآن، فأتنا على استعداد.
- سعادتك تقصد أن تخرج من بيتك الآن ومعك أسامة والسيدة والدتك المريضة والسيدة حرمك.
- هذا ما تقوله الأوراق وما يقوله حقل.. الرهن حيازى لمجموعة الدائنين. وقد قسمت الرهن على أنفسكم فيما بينكم، وأصبح البيت من نصيبك بموافقة جميع الدائنين.. هذا لاشك فيه.
- وهذه هى أوراق الدين والحيازة ياراشد باشا.
- وفى حركة ثابتة وثقة مزق فهمى الأوراق ثم أعاد تمريرها.
- فهمى ماذا فعلت.. أنت بهذا تضيع حقل فى الدين؟!
- وما عشرون ألفاً عندك.. ادفعها حين تشاء، أولاً تدفعها إذا شئت.
- إنما أنا لا أخرج راشد باشا أو أسرته ووالدته من البيت الذى عاشوا فيه عمرهم كله.
- فهمى! اهذا معقول؟
- هذا هو المعقول. فلنختلف ولأحاربك وتحاربنى، ولكن راشد أدهم لا يخرج من بيته أبداً.



□ نفوس من ذهب وفضة

- فهمي! هل هناك كلام يوفيك حقا؟
- حاولت أن تكون السيارة ضمن ديني فلم أستطع.
- لا يهم.. لا يهم شيء.. أنت كما أنت الآن أمامي أعز من كل المال الذي فقدت.
- أنا لن أبقى لأسمع هذا الكلام.. السلام عليكم.
- والقهوة؟
- ستصبح شربات حين أرى الوقت مناسباً.

* * *

إن للسماء طرقاً عجيبة. قد أتصور أن يفعل أي دائن ما فعل فهمي عبد الحميد. لو أن الإنسان عرف السبل التي تستعملها السماء لأصبح إلهاً. ولكن السماء تحب أن تذكره دائماً أنه إنسان لا يزيد، وهناك من فوق سبع سموات رحمة ترسل حنانها وشعاعها بالطريق الذي تراه مناسباً أو طبيعياً، لا الطريق الذي يتصوره مجرد الإنسان.. وهيهات لمجرد الإنسان أن يفهم.

كيف يمكن لفهمي عبد الحميد أن يكون ذلك الملاك، وهو هو نفسه الذي ارتكب من الأعمال ما يعف الشيطان عن ارتكابه.

كيف يستطيع الملاك والشيطان أن يعيشا معاً في كيان واحد، والذي يسمو إلى ما تصنعه الملائكة هو نفسه الذي يتردى إلى ما لا تهوى إليه الشياطين.. «الهمها فجورها وتقواها».

فالذي يصنع الخير هو خير من الملائكة. لأنه يصنع الخير باختياره لا بالطبيعة المواتية التي لا تعرف الملائكة غيرها. والذي يتردى إلى فجورها يهوى إلى حضيض أسفل من حضيض الشياطين، لأنه هو نفسه كان يستطيع أن يختار الطريق الآخر الذي لا يستطيع أن يختاره الشيطان..

□ نفوس من ذهب وفضة

والهمها فجورها وتقواها. قد يغلب الفجور مرة، وقد تغلب التقوى مرة، ويصبح الانسان تركيبا عجيبا، لا هو شر كله، ولا هو خير كله.. وإنما يتمازجان فيه فى غير تنافر، ويصبح كل من العنصرين مادة فى كيان الانسان ليظل إلى الأبد ذلك اللغز الذى حارت فيه مراحل البشرية على مر التاريخ.

* * *

قالت خليجة:

- أبيع مجهراتى.

- هى فى البنك باسمى وأغلب الظن أنه حجز عليها هى أيضا.

- أكلّم أبى.

- أباك؟

- أنه أبى.

- اسمعى هذه المشكلة ملكى أنا، وأنا الذى صنعتها، وأنا الذى يجب أن أتولاها وحدى.

- لكن أنت من صنعتها، ولكن أنت رب بيتى، مسئوليتى عنك قدر مسئوليتك عنى.

- لو كان لك مال مستقل لكان الذى تقولينه طبيعيا.

- ولكن أبى مسئول عنى.

- سقطت عنه هذه المسئولية منذ تزوجتك.

- العلاقات الانسانية ليست عقودا تسجل فى المحكمة. يغضب أبى

أشد الغضب اذا لم أقل له.

- غضبه سيكون أكبر اذا قلت له.

- منك؟

□ نفوش من ذهب ونكاس

- من نفسه.
- من نفسه؟
- انه لا يستطيع أن يصنع شيئا .. دخل أيبك يكاد لا يكفيه.
- ما هذا الذى تقول؟
- حقيقة أنا أعرفها قبل أن أتزوجك، وتأخرت أنت فى معرفتها.
- ولكن لابد أنه سيعرف كل شيء عن حكايتنا.
- أنت طيبة يا خديجة.. هل تظنين أن أحدا فى مصر سيجعل ما حصل لى!!
- فهو الذى سيكلمنى.
- ربما.
- انن فسيغضب لأننى لم أكلمه.
- أعلم ذلك.
- ماذا أقول له؟
- قولى انك عرضت على مساعدته فرفضت ذلك رفضا قاطعا.
- ولكن سيكلمك.
- لا تخافى.. فإن كنت فقدت مالى فإنى لم أفقد لياقتى.

* * *

- وقالت أمه وهى فى فراش مرضها:
- راشد لا تخف.
- أنا غير خائف.
- مصاريف بيتك على.
- وانت ما ذنك؟
- كنت أستطيع أن أعطيك أرضى فتبيعها، ولكنى أخاف أن تأكلها

□ نفوس من ذهب وفداهم

ديونك. سأبقى أرضى لأصرف منها على البيت.

- هانم أفندي لا أدري ماذا أقول لك.

- لا تقل شيئا. لن أعيش طويلا، والأقدنة القليلة التي ورثتها عن أبيك ستؤول إليك. ولكنني أريد أن أعيش ما تعودت أن أعيش لا أسأل أحدا شيئا.

- سيكون لك هذا على كل حال.

- أنك طول حياتك تتفق على وعلى ملابسى، وكنت أنفق أنا أيرادى على من يستحقون الصدقة.. وعندي بعد ذلك بقية، وأيراد الأرض سيكفى مصاريف البيت، فلا تحمل هم هذه الناحية ودبر أنت حالك فى غير هذا.

* * *

وقال عثمان باشا فكرى.

- لقد أكرمت خديجة منذ تزوجتها وأصبح بينكما الآن أسامة، وهو حفيدى وأنا مسئول عنه وعن ابنتى وسنى. وتصرفاتك الكريمة مع ابنتى تتيح لى أن أكون مسئولا عنك أنت أيضا فدعنى أقدم مساعدتى.

- أنا دائما أعتبرك أخى الأكبر إن لم أعتبرك والدى، وأنت فى مكانه عندى، ولكننى أحب أن أقوم بنفسى بهذا العبء.

- أساعدك فى أيامه الأولى.

- وأصبح أمام زوجتى شخصا ضعيفا لا يستطيع أن يواجه الأحداث.

- لقد عشت عمرك غنيا.

- فدعنى أجرب أن أكون فقيرا.

- أمرك.

* * *

□ نفوس من ذهب ونحاس

- وقال أسامة:
- بابا ماذا حصل؟
- ماذا حصل؟
- فى البيت حاجة غريبة.
- مثل ماذا؟
- لا أعرف.
- هل نقص شىء؟
- السيارة.
- وأنت مالك بالسيارة؟
- أنا فقط لا أراها.
- أصبحت قديمة.
- اشتريت سيارة جديدة.
- ليس الآن.. هل هذا هو كل التغيير؟
- طبعاً لا.
- وماذا أيضاً؟
- لا أعرف.. ستى ليست كما تعودت أن أراها.
- مريضة.
- انها مريضة من زمان ولكنها ليست هى.
- وماذا أيضاً؟
- وكفاية.
- وماما؟
- لا.. ماما لم تتغير.

□ نفوش من ذهب ونبل

- وأنا؟
- أنت؟! أنت؟! لا أعرف.
- والخدم؟
- لا أعرف.. يمكن ربما.. نعم.. افكرت كانوا دائما يهزون معي..
- الآن دائما التكبيرة على وشهم.
- كل هذا رأيته.
- لا أعرف.. تعرف يا بابا ساعات أحس بأشياء ولا أعرف كيف أقولها.
- مثل ماذا؟
- لو كنت أعرف كنت قلت.. لا أعرف.. فيه شيء ولكن ما هو.. لا أعرف.
- ستعرف يا أسامة.. سيأتي يوم وتعرف.

* * *

بدأ حياته الجديدة بداية لم تر مثلها القاهرة ولا أحسب أنها سترها.. كانت هناك عمليات تجارية صغيرة تعود أن يتركها ولا يعنى بها ليهتم بعمليات أكبر. عاد إلى هذه العمليات، ولكنه كان يريد أن ينتقل بسرعة.. وكان قد انتوى أمام نفسه ألا يستغنى عن أحد من الخدم أبدا، فقد استقروا فى البيت منذ سنوات طوال، وأصبح من غير الممكن أن يستغنى عن أحد منهم. كان هناك شعور يجمعهم أنهم أسرة واحدة لعل أحد منهم لم يفصح للآخر بهذا الشعور، ولكنه راسخ فى نفوسهم ربما إلى درجة عميقة وثابتة ومؤكدة حتى ليصبح من العبث أن تكون موضوع حديث.

وهكذا بقى عبده خليل سائق السيارة دون أن تكون هناك سيارة، وسرعان ما نبئت الفكرة فى ذهن راشد باشا.

□ نفوش من ذهب وفضة

والذين كانوا يعيشون فى القاهرة هذه الأيام أصبحوا يرون منظرا عجيبا.

سعادة الباشا يركب موتوسيكل له مقعد جانبي يطلقون عليه سيدكار.. يقود الموتوسيكل سائق غاية فى أناقة المظهر يلبس البذلة التى كانوا يطلقون عليها بذلة طلب، وهى تمتاز بسترة مقلدة عند الرقبة زرقاء داكنة الزرقة على حوافها قطان أحمر، والبنطلون منتفخ من أعلى تلفه بعد تلك رقبة طويلة لحذاء جلدى فاخر.. هكذا كان ملابس عبده خليل وهو يقود السيارة الباكار نفس ملابس عبده خليل وهو يقود الموتوسيكل السيدكار الذى يركب سعادة الباشا فى مقعده. حتى اذا أراد الباشا أن ينزل فى مكان ما لبعض شأنه سارع عبده خليل يفتح باب السيدكار فى عظمة ووقار، وينزل الباشا فى سمته المهيب الذى تعود أن ينزل به من السيارة الباكار.

والباشا وهو يصنع هذا لا يفكر لحظة أنه يفعل شيئا يدعو إلى الدهشة، وفيم الدهشة.. ان الباشا يعتبر السيارة وسيلة لا غاية. والموتوسيكل وسيلة تؤدى الغرض نفسه. وراشد باشا برهان الذى كان يركب السيارة الباكار هو نفسه راشد باشا برهان الذى يركب الموتوسيكل السيدكار.



□ نفوس من ذهب ونحاس

دق جرس التليفون بمنزل زكريا باشا .
- أنا عبدالقادر ابراهيم وكيل وزارة الخارجية يامعالى الباشا .
- أهل عبدالقادر بك، أهل وسهلا .
- متى أستطيع أن أرى معاليك؟
- وقتما تشاء .
- فى أسرع وقت اذا أذنت سعادتك .
- الآن إذا شئت .
- عشر دقائق أكون عند معاليك .
السن والثقافة والتجارب جعلت زكريا باشا يبدو هادئا وهو
ينتظر وكيل الوزارة، ولكنه كان واثقا أن شيئا يتصل بابنه عدلى فى
طريقه إليه.. وقد تعود منذ سنوات ألا يتصل شيء سعيد بابنه
عدلى. أبت عليه تجاربه أن يفكر فيما يمكن أن يكون هذا الشيء .
وجاء وكيل الوزارة .

□ نفوش هو ذهب وفلاح

عدلى يسهر كل يوم إلى الفجر يلعب القمار فى جنيف، ولا يكفيه
أى مال، بل أن صحته وهو الشاب لم تعد تستطيع أن تتحمل ما
يصنعه بها.

مرتبته وإيراده الذى يذهب إليه هناك يقذف به جميعا على مائدة
القمار. بل أنه حتى لا يتناول من الطعام ما يقيم أوده. فهو يفضل
أن يلعب القمار عن أن يتناول الطعام الذى يحتاج إليه جسمه. فهو
لا يذهب إلى الفندق إلا بعد الظهر لينام ساعتين ثم يستأنف. وكل
هذا ما كان يحتاج إلى وكيل الوزارة ليأت به إلى زكريا باشا.

لقد نضب المال من يد عدلى فإذا هو يطلب من الفندق الذى ينزل
به أن يصرف له شيكا يقدر بالنقود المصرية بحوالى خمسمائة
جنيه. وقد قصد أن يطلب صرف الشيك فى يوم سبت حتى تكون
البنوك مقفلة فى يوم الأحد، ظاناً أنه يستطيع أن يكسب فيودع
المبلغ فى البنك قبل أن يقدمه الفندق.
لم يكسب.

وطرده الفندق، وطالب السفير المصرى بالشيك وحساب الفندق.
دفع السفير. ولم يشأن أن يخبر الوزير لأنه يعرف أنه صديق
الباشا، وأخبر وكيل الوزارة.

طبعا دفع الباشا كل ما أخبره به وكيل الوزارة، وما أن ودعه إلى
الباب حتى عاد إلى التليفون ملهوفاً:
- راوية.

- أفندم سعادة الباشا.

- تعالى حالا.

وحين جاءت.

□ نفوس من ذهب ونحاس

- كم ترسل لك دائرة عدلى كل شهر.
وتسمرت عينا راوية على الباشا، وتقلصت خلجات وجهها،
وحاولت أن تتماسك بكل ما يطيق البشر أن يتماسكوا، ولكن
ههيات لدموع مثلها أن تفيض، لقد طفرت إلى عينيها سكباً وراء
سكباً!

- لا عليك يا ابنتى.. لا عليك خذى.

- لا أخذ شيئاً ياعمى.. لا يمكن.

- ستأخذين.

- ألا يكفى أنك تبرى هالة وانك رفضت أن تأخذ نصيبك من تركة
نينا نعيمة هانم؟!

- هذه أشياء ليس من شأنها أن تسقط واجب زوجك فى الانفاق
عليك.

- هذه أخطاؤه وليس من المفروض أن تتحمل أخطاءه.

- ومن يتحمل أخطاء الأبناء إلا آباءهم.

- ألا يكفى ما تحملته أنت من عدلى؟

- أنا لم أتحمل شيئاً.

- بعد كل هذا؟

- هذه كلها أخطائى أنا.. مادمت لم أحسن تربيته، فعلى أن
أتحمل كل ما يفعل.

- من قال هذا؟ ياعمى الناس طبائع.. وعدلى طبعه هكذا ولا ذنب
لك أنت!

- يا ابنتى أنا لم أقم بواجبى نحو عدلى.. وأنا الآن أحاول أن
استدرك الخطأ الذى وقعت فيه.. خذى.

□ نفوشر من ذهب ونحاس

- لا يمكن.
- أنت تعرفين إلى أى حد يحترمنى أبوك.
- أعرف.
- لا تضطريننى أن أدعوه وأعطيه ما يجب أن تأخذه أنت.
- وقبلت راوية المال. وانصرفت.
- ولكن قصة عدلى لم تتم فصولا.

* * *

ما هو إلا شهر وبعض شهر حتى جاءت الأنباء أن عدلى سقط مريضا بعد هذا الجهد الذى أنهك به جسمه، واضطر الباشا أن يصحب راوية إلى سويسرا.

وهناك وفى حجرة من فندق فقير التقى الباشا مع ابنه عدلى لأول مرة بعد ما صنعه عدلى تجاه أبيه.

وهناك لم يجد الباشا من ابنه إلا بقية حطام لم يترك القمار منه شيئا.

كان موقف الابن ذليلا حتى لم يحاول أن يعتذر، وكان موقف الأب أليما حتى لم يذكر من هذا الشيء الذى أمامه إلا أنه ابنه وأنه مريض.

سرعان ما عرف الأب وعرفت راوية أن مرض الصدر هو ما يعانيه عدلى.

فى مصحة فى ليزين على جبل بالقرب من لوزان استقر عدلى، ودفع الباشا نفقات العلاج، وأعطى لراوية ما يكفى لفترة أخرى، وسافر إلى القاهرة بالباخرة.

وفى القاهرة استقبلته من راوية برقية.. لقد مات عدلى.

□ نفوس من ذهب ونداء

* * *

منذ ذلك اليوم أصبح زكريا انسانا آخر.. كان يخشى أن يبدى حبه ليحيى ابنه، ويخشى أن يظهر ضعفه لهالة حفيدته، فاعتزل عنهما الحياة بعد أن أصر أن تقيم معه زوجة ابنه راوية. ومنذ ذلك اليوم أصبح زكريا باشا يمثل لابنه وحفيدته شيئا مقدسا لا سبيل إلى الحديث معه، وإنما تصل إليها الأوامر منه والنقود وكأنه طيف غير انساني لا صلة له بالبشرية. وكان يحيى فى تلك السن التى يتشكل فيها الانسان ليصبح رجل الغد.

وأما هالة فلاهية يصغر عندها كل شىء ليصبح مجرد حدوة أو أداة تسلية.

لم يكن زكريا يتوقع أن تطول به الحياة حتى يفقد عدلى، وأصبح يخاف على ابنه وابنته.. أن يتعلقا به ثم يخذلها ويتركهما فينهار صرح فى نفسيهما كبير. كان يريد حياته أن تكون على هامش حياتهما. ولو أنه أراد أن يجتمع بهما لأعجزته نفسه، كان موت عدلى بالنسبة إليه فى سنه هذه نكبة لم يحتملها.

كان يدرى أنه لم يحسن تربيته، وكان يدرى أنه لا يصلح لشىء، وكان يدرى أن ابنه طعنه أو حاول أن يطعنه بهذه القضية التى رفعها. ولكنه أيضا كان يدرى أنه ظل لفترة طويلة من حياته ابنه الوحيد. وأن أهميته قد زادت حين أتى له بهالة وحين أتى هو بيحيى. وكان يجعل فى حياة عدلى من بعده أداة أمن تصحبه فى رحلته إلى الحياة الأخرى. ولكنه مات.

ثم هو فى لحظة ينهار به هذا الأمن ولا يبقى من عدلى إلا أنه



□ نفوشر من ذهب ونكاح

مات.. أما يكفى هذا. وسنة الحياة أن يدفن الابن أباه وويل للآباء.
أو قل أن شئت ويل للحياة كلها إذا اختلفت هذه السنة فدفن الأب
ابنه.

ينسى زكريا كل شىء ولا يذكر إلا أن ابنه مات، فتصبح مسالك
الحياة أمام عينه مهوشة تافهة لا معنى لها.
لا يختلف عنده طريق عن طريق. بل إنه حتى لم يعد يريد أن
يختار ولا أن يدلى برأى.

هو لا يشارك فى السياسة. وهو لا يذهب إلى مكتب الحمامة وهو
لا يجد فى مجلس الأصدقاء أنسا أو ترفيها. لم يبق من الأصدقاء
إلا من يصغرونه. أما أتراب حياته ورفاق طريقه فقد مالوا واحدا
بعد الآخر، وأقفرت من حوله الحياة التى كانوا يصنعونها معا.
حتى السياسة التى كان من أعلامها اختلفت درويها، وتغير
رجالها فأصبح لا يفهم عنهم ولا يفهمون عنه. وحتى إذا فهموا فإنه
لا يريد أن يدلى برأى.

وكيف يدري زكريا باشا أنه إذا أبدى آراءه فى تربية ولده
وحفيده يكون قد قال رأى الصواب. ومن يعرف الصواب والخطأ
فى عصر هؤلاء. وكيف يستطيع أن يشارك فى تربية الأحفاد -
فيحىى وان يكن ابنه خليف أن يكون حفيده - وهو لم يوفق فى تربية
ابنه.

فى حجرته زكريا باشا، ان غادرها فساعة أو بعض الساعة،
يحس بها أنه حتى لم يمى ثم إلى غرفته يعود.

ومن هذه العزلة اتخذت سهير وراوية أداة ارهاب للطفلين. وعند
يحيى أصبح سمى الرجل كما ينبغى أن يكون الرجل هو هذا

□ نفوس من ذهب ونحاس

الباشا المنعزل. هكذا أصبح الأمر عند يحيى. أصبح يعتقد أن الرجل لا يكون رجلا إلا إذا لم ير أحدا ولم يره أحد وأصبح يظن أن الرجل العظيم - ومن أعظم من أبيه - يجب أن يكون صموتا لا يتكلم. فإذا تكلم فكلامه أمر، وإشارته لا يصحبها إلا الطاعة من الآخرين. هكذا صورت له أمه أباه وهكذا أكد أبوه هذه الصورة بوجهه ارتقى عليه الحزن، واحتضنته تجاعيد السنين، فأصبح بمزاج الألم، والأيام تكثيرة لا انبساط لها..

ربما استطاعت راوية أن تنجو بهالة من هذه الصورة. وهالة على كل حال بطبيعة جنسها لا تصبو أن تكون رجلا.. ورجلا موهوبا. ولكن راوية خشيت على ابنتها أن يجعلها موت أبيها جانحة إلى الحزن في حياتها، فراحت تتيج لابنتها كل فرصة للبهجة، ولم تكن تستعمل اسم الجد إلا حين ترى أن هالة تبالغ في طلب البهجة، وكان ذكر اسمه مصحوبا بالرغبة التي تريدها الأم، وتلصقها به وهو فيها مظلوم، كافيا أن يرد هالة إلى ما تبتغيه الأم من الاعتدال.

* * *

كان يحيى في السادسة عشرة حين مات أبوه زكريا باشا. وفجأة وجد يحيى نفسه قد انتصب رجلا على رغم أنفه. فالخدم لا يذكرونه إلا بلفظ البك. هكذا مفردة دون اسم يحيى يسبقها أو صفة الصغير تلحق بها.

أصبح هو البك. ليس «بك» وإنما البك.. كاملة خالصة له. فقد أرادت سهير أن تجعل منه رجل الأسرة الجديدة، ولم يكن بد من أن تحيطه بكل هالات التوقير إذا كانت سنه وثقافته لا تستطيعان أن تحيطاه بشيء.

□ نفوس من ذهب وفضة

وحين مر بعض الوقت قالت راوية:

- ألا ترين من الأنسب أن أرجع إلى بيتي؟

- لماذا

- أنت تعرفين أن بيتي مغلق، ومن الطبيعى أن أعيش فيه مع

ابنتى.

- وما الطبيعى فى ذلك؟

- كانت هالة مع جدّها.. أما الآن.

- شأنك عجيب يا راوية. هى الآن مع عمها فى القرابة، ومع أخيها

فى السن، فأى عجيب فى ذلك؟

- ربما يحب يحيى أن يعيش وحده.

- اسمعى.. أنا وأنت لم نختلف طوال هذه السنوات وأصبحنا

كأخوات، وهذا البيت بيتى وبيت يحيى معا. وقد تعودت الحياة

معا، كما أعتقد أنك تعودت الحياة معا، وليس من الطبيعى أن

تعيشى وحدك مع هالة وبيت عمها موجود، وإذا كان الباشا قد

مات، فإننا نستطيع أن نجعل من يحيى رجل البيت ونعيش معا..

ودعينا لا نعود لهذا الحديث.

- على شرط.

- قبلته.

- أتعرفينه؟

- كنت لا تشاركين فى نفقات البيت، والآن تريدان أن تشاركنى.

- فهل تقبلين؟

- نعم أقبل.

* * *

من حسن حظ هالة، ومن حسن حظ يحيى، أو من سوء حظه لا أدري أن هالة جاء لها خطيب.

أما أن هذا من حسن حظها فلاشك فى ذلك. فإن هالة لم تستطع أن تتصور يحيى هو البك. فقد عاش عمره رفيق الملعب وكانت تسخر سخرية شديدة من جو التوقير الذى تشيعه حوله أمه وتشتد السخرية بها إذا رأت أمها تشجع هذا التوقير. ولم تكن تحتفظ بسخريتها لنفسها وإنما. كانت تفجرها كلمات لا تتحرز أمام من تنفجر. وكثيرا ما كان ذلك يحدث أمام الخدم فترسم على أفواههم بسمات تنال لاشك من الهيبة الصارمة التى ينبغى أن تفرش تحت أقدام الأمير الصغير.. البك..

وكان يحيى يجن من سخرية هالة، وكانت أمها تحاول عبثا أن تردعها.

ولكن هالة مسكينة. فما تستطيع أن تتصور يحيى كما تريد السيدتان أن ترسماه؟ دون أن تضحك ضحكا ساخرا يتشكل فى كثير من الأحيان كلمات لاذعة.

وهكذا لم يكن عجيبا أن يرحب الجميع بذلك العريس الذى تقدم للزواج من هالة.

ولم يكن عجيبا أيضا أن تكون التحريات التى أجروها عنه سريعة مبتسرة، تتسم بالتعجل أكثر مما تتسم بالجدية والتعمق.

كل ما عرفوه عنه أنه خريج التجارة العليا، وأن أباه تاجر من أواسط التجار لا هو بالغنى الفاحش الغنى، ولا بالفقر المدقع.

العريس اسمه جابر عبدالبديع الشحات فى السابعة والعشرين من عمره، ويعمل مع أبيه فى التجارة.

□ نفوس من ذهب ونحاس

له أخ أصغر منه بسنة واحدة، وقد تخرج فى كلية الحقوق، واسمه حامد.. وحامد يعمل بالأعمال الحرة فى غير تجارة أبيه بجانب عمله بالمحاماة. والحقيقة فى أمر حامد أن مكتبه ستار لأعماله التجارية. فاسم المحامى ومكتبه يخلقان حوله جوا يستطيع عمله التجارى أن ينتفع بهما. وهو فعلا يعمل بالمحاماة، ولكنه يختار قضاياها ولجابر وحامد بعد ذلك أختان تكبرانهما ومتزوجتان، ولهما أبناء أما الكبرى فاسمها حميدة. وأما الصغرى فاسمها رشيدة.

وحين جمع الفرع الأسرة فى منزل زكريا باشا أحست راوية أنها تعجلت. ولكن هالة لم تفكر فى عقد مقارنة بين أسرتها الجديدة وأسرتها التى عاشت فيها، وإنما هى سعيدة أن تتزوج فى هذه السن المبكرة، ويعجب بها شاب أنيق مثل جابر. ولم تكن تجربتها تسمح لها بأن تقدر معنى هذه السلسلة الذهبية الضخمة السمكية المتوحشة التى يعلقها أبوه عبد البديع الشحات على صدره، ولا معنى الفستان الأحمر الذى يسمون أحمره بالأحمر الانجليزى الذى ترتديه حميدة، ولا معنى الفستان الفستقى اللامع الذى ترتديه رشيدة.

أما راوية وسهير فقد فهمتا تماما أى أسرة ناسبتها ابنتهما المسكينة هالة. ونظرت كل منهما إلى الأخرى نظرة تقول «لماذا» لو أن هالة فقيرة وبحثت عن بعض غنى لكان ذلك مفهوما ولو أن السن تقدمت بها فشارفت الثلاثين، لكان هناك بعض العذر. لو أنها أحبت جابر وأحبها لأصبح الأمر لا يحتاج إلى تبرير. ولكن هكذا وبدون أى أسباب. لماذا؟

□ نفوس من ذهب ونحاس

وفى لحظة واحدة اتجهت العيون منهما إلى البك.. إلى يحيى.. ودمعت عينا راوية ولم تخف الدموعات. فالأمهات اللواتى يفقدن أزواجهن مباح لهن دائما أن يبكين فى أفراح أبنائهن أو بناتهن. ولكن سهير فهمت معنى الدموع من راوية، ووثقت من فهمها وأطرقت خجلا.. لقد جعلها حرصها على أن تجعل ابنها «بيكا» لا تكتنفه السخوية تنصح بتعجيل هذا الزواج دون ريث من تأمل أو بحث، أو تفكير.

كان فى الفرع كل أصدقاء راوية وسهير. فلم يكن عجيبا أن تكون شهيرة سيدة مرموقة فى الفرع تذهب وتجيء وتدعو إلى الطعام، وتمر بجانب الخدم وهم يقدمون الحلوى والشربات. بل لقد تولت هى نفسها تقديم علب الحلوى إلى المدعوين مع راوية وسهير. وفى الفرع تعرف شباب بشباب.

تعرف حامد بيحى وشهيرة وبهيرة وتعرفوا به ضمن من عرفوهم فى ليلتهم تلك.

كان يحيى فى فترة هذا الفرع قد اتخذ قرارا خطيرا، وزاده هذا القرار شعورا بالأهمية أن كان هذا الشعور عنده يحتاج إلى مزيد. كان يحيى يتعثر فى التعليم حتى بلغ الثالثة الثانوية وهو فى التاسعة عشرة من عمره، وكان مازال المدى أمامه بعيدا. فقد كان لابد له أن ينال الثقافة ثم التوجيهية. وأدرك أن هذا أمر بعيد المنال ان لم يكن مستحيلا.

وهنا يقف علماء النفس حائرين. فهناك من يقول إن جو الأهمية الذى تفجر حول يحيى كان خليقا أن يجعله يذاكر، ويصبر نفسه على الجهد، لأنه لا يليق بالرجل المهم أن يسقط أمام الخدم والأتباع

الذين لا يقولون عنه إلا البك.

وهناك فريق من هؤلاء العلماء يقول ان هذا الشعور بالأهمية مع عدم الادراك لقيمة الثقافة يجعله يظن أن التعليم شيء ثانوى لا يستحق هذا العناء. وأن البك لا يجوز له أن يصنع ما يصنعه عامة التلاميذ، ويذاكر كما يذاكرون، وينجح كما ينجحون.

وهكذا تجد أن علماء النفس هؤلاء كثيرا ما يزيدون الأمور تعقيدا. وكثيرا ما تنفلق أمامهم المسالك، فلا أحد منهم يعلم إن كان على خطأ أم كان على صواب.

ولكن يحيى لم يفكر على كل حال أن يسأل علماء النفس، ولا أن يستخبر كتبهم وهو أيضا - وهو البك - لم يكن محتاجا أن يستشير أحدا، فحزم أمره، وقرأه وأصدر قراره.. لا تعليم..

وقرار البك لا مرد له.. وأدركت أمه أنها لن تستطيع أن تجادله فهي تعلم أن البك الذى صنعته وجعلت من حولها يصنعونه معها لم يعد صالحا للنقاش.

وهكذا أصبح البك بك رسميا، وإن لم تصدر بشأن رتبته براءة من القصر الملكى. وهو أيضا فى غير حاجة إلى براءة القصر الملكى. لأن الوهم الذى يحيط به ضخم ضخامة الحقيقة نفسها. فالبراءة باليكوية لن تزيد حقيقة بكويته ثبوتا لديه أو لدى المجتمع الذى يحيط به.

وهكذا تنثور حول يحيى بك مشكلة أعيت الأجيال، هل الحقيقة هي ما يعتقد الانسان، أم أنها معنى مجرد ليس يعنى بمن يعرفه أو من يجعله. وإن كانت معنى مجردا فما قيمته اذا لم يجمع عليه الناس. ولكن هل كل حقيقة يجمع عليها الناس، ودعنا نسأل أيضا هل كل

ما يجمع عليه الناس حقيقة؟ وما لنا لا نسأل أيضا وهل أجمع الناس على شيء؟

فإذا قلنا إن هناك غالبية كاثرة تجمع على أمر معين، وإن هناك أقلية لا توافق الإجماع. فإنه لابد لنا أن نسأل مرة أخرى: هل من الحتم أن تكون أغلبية الناس معتنقة الحقيقة؟ وأن الأقلية لا قيمة لها ومن يحكم في هذه القضية. إن هناك رأيا معروفا أن الحقيقة واحدة لا تتعدد. ولكن هل عرف أحد هذه الحقيقة الواحدة، ولكن أحدا لا يستطيع أن يعرف أين الحقيقة الخالصة في هذا العدد الكبير من الحقائق. ليس غريبا إذن أن تكون الحقيقة ضائعة بين البشر الذي ركب من عقل وشهوة، ومن فكر وعاطفة، ومن حكمة وهوى. فبين التيارين المتعارضين تنزوى الحقيقة، ويعتقد كل إنسان أن الحقيقة التي استقر عليها رأيه هي الحقيقة. فلا بأس إذن أن يعتقد يحيى أنه بك فعلا رغم افتقار رتبته إلى براءة رسمية.

وعرف حامد أن البك في هذا البيت معناها يحيى، وعرف شهيرة وأعجب كل الاعجاب بابتها بهيرة.

وكان بين المدعويين أيضا وجدى. فإن أردت أن أنكرك به فلا بد أن أنسبه إلى أمه، لأنها الجانب المجمع عليه من أبويه أنه ابن نجاة. وهو عند كل من يعرف نجاة ابن عزت بهادر، وعند القضاء الذي أصدر الحكم في قضيته ابن عبدالحسن باشا وفق.

وكان وجدى فى نضارة الشباب وفى فتوته يتمتع بجمال أخاذ سامق ويتمتع أيضا بذكاء خارق يعرف هو بخلقه الخاص وظروفه التي أحاطت بولادته ونشأته، والقضايا التي وجدها تتلقفه مع مهد الطفولة كيف يستعمل هذا الذكاء وأين يستعمله. وهو فى أعماله

□ نفوشر من ذهب و نكاح

لذكائه هذا يستعمل كل ما لديه من أصل ممزق بين الحقيقة التي يكاد يلمسها بالشبه بينه وبين الذي يناديه بعمه عزت وبين الوهم الذي أكسبه القضاء حجية الشيء المحكوم فيه. كما يجعل ذكائه يستخدم هذا الجمال الذي لا تستطيع عين أن تعبره دون أن تقف عنده وتطول الوقوف.

وكانت خديجة وراشد باشا وأسامة بين المدعويين. راشد باشا قد عادت إليه ثروته، ولكنه حولها إلى عمارات باسم أسامة مباشرة وقطع ما بينه وبين الريف تماما فباع عزبته التي استخلصها من أيدي الديانة، وابتاع بثمانها عمارات، فقد أدرك أن وحيدته الذي ربي بالقاهرة لن يستطيع أن يستنبث من الأرض ريعها. كما أدرك أن ابن خديجة التي عاشت عمرها بالقاهرة لن يكون فلاحا، يفهم كيف يعامل الأرض. وقد حقق أسامة ظن أبيه فإذا هو طالب يحب العلم، وإذا هو شاب يحب القراءة، وهكذا لم يكن غريبا أن يجد نفسه بين شباب الفرح يقف على جزيرة مستقلة به، وإن كان ذكاؤه قد مكنه أن يشارك الشباب من أمثاله في أرضهم وديانهم.

جمع الفرح قوما كثيرين وتعارف منهم من لم يكن من قبل متعارفا، والتقى الأصدقاء يصلون حديثا كان بينهم ثم انقطع، أو يداون حديثا هو آخر الأمر إلى انقطاع.



اتصلت نجاه بشهيرة فى التليفون تحدد بينهما موعد:
- نحن بيننا صداقة عمر..
- ما لزوم هذا الكلام يا نجاه.. أنت تعرفين مكانتك عندى.
- أريد هذه الصداقة يا نجاه أن تصبح قرابة.
- هى الآن أكثر من قرابة.
- من غير لف أو دوران أريد بهيرة لوجدى.
- والله يا حبيبتي أنا تحت أمرك، ولكن بنات هذه الأيام لهن رأيهن الخاص. وأكذب لو قلت لك إن لى رأيا، أو إن لأبيها رأيا.
- أنا عارفة.. وعارفة أيضا أن جمال وجدى لا يماثله جمال، وأنت عارفة غناه.

* * *

وقالت شهيرة لزوجها سامى حسنين:

□ نفوس من ذهب ونحاس

- الولد غنى وعلو، ولكنه دائما مع النسوان، وسمعت أنه يلعب القمار.. وحكاية المحكمة هذه ستظل تلاحقه.

ولم يكن سامى فى حاجة أن يقول لها الأمر أمرك، فقد كان يدرك أنها تكلمه لتفكر بصوت مرتفع، وليس لأنها تريد رأيه. فهو عندها بلا رأى.

لم تشأ شهيرة أن تخبر ابنتها عن هذه الخطبة. فهي لا تحتاج إلى رأيها هي أيضا. وإن كانت قد أنبأت بهيرة أن الرأى رأى ابنتها. فما كان هذا منها إلا لتعطى لنفسها فرصة لتفكر.

* * *

وقالت بهيرة لأمها:

- لماذا لم تقولى لى شيئا حتى الآن؟

- وماذا تريدان أن أقول؟

- ألم يخطبنى أحد؟

- اذن قد عرفت؟

- طبعاً.

- من قال لك؟

- أنا موافقة على هذا الزواج.

- لن أخبرهم بالموافقة حتى تفكرى.

- لقد فكرت.

- وماذا علينا أن ننتظر؟

- ولماذا ننتظر؟

- يتهيا لى أن هناك خيرا منه.

□ نفوشر من ذهب ونداس

- الذى أريده أنا هو أحسن زوج لى.
- لا يفرك الجمال.
- لا شىء يغربنى.. كل ما فى الأمر اننى أريده وهذا يكفى.
- ومع ذلك سأنتظر.
- شأنك.

* * *

- وطلب عبدالبدیع الشحات موعداً من سامى حسنين:
- توكلنا على الله.
 - على الله التوكل.
 - مد يدك.
 - تحت أمرك.
 - نقرأ الفاتحة.
 - على ماذا؟
 - فاتحة بهيرة بنتك على ابنى حامد.
 - أه! هكذا؟
 - وماذا فى هذا.. لقد ناسبنا زكريا باشا حسام الدين.
 - ومن غير نسب زكريا باشا أنتم ناس أفاضل يا عبدالبدیع بك.
 - كثر خيرك. فما التردد إذن؟
 - أليس لهذه البنت أم؟ وهى أليس لها رأى؟
 - ومنذ متى يكون للحريم رأى يا سامى بك.
 - نعم.
- كانت الكلمة بعيدة كل البعد عن حياة سامى فأطرق قليلاً ثم قال:

□ نفقوش من ذهب وندامر

- لابد من رأى الست والبنت يا عبد البديع بك.. الدين يقول هذا.
- أمرك.. ولك أن تسأل عن حامد.. محام قد الدنيا.
- وأيضاً تاجر واع ويكسب من الهوا.
- ربنا يهيا الخير إن شاء الله.

* * *

وذهبت شهيرة إلى خديجة وحكت لها عن العريسین اللذين جاء
فى وقت واحد تقريباً لبهيرة، واستطاعت أن تصوغ الحكاية وكأنها
تستشيرها، وفهمت خديجة الإشارة.
قالت للبك:

- يحى أليس من الطبيعى أن تتزوج.
- حين أجد البنت المناسبة.
- عندى.

- من؟

- مال وجمال وأصل.

- أعرفها؟

- كل المعرفة؟

- فمن هى؟

- خمن.

- بهيرة؟

- عجيبة.. كيف عرفتها؟

- أنا لست غيباً.

- لا.. الحكاية وراءها سر.. هل تحبها؟

□ نفوس من ذهب ونبال

- اخطبها لى.

* * *

ودون أن تستشير شهيرة ابنتها أو زوجها أعلنت الموافقة،
وأدركت بهيرة أنه لا سبيل لها أن تعارض.. وإن كان وجدى قد
استطاع أن يبهرها بجماله، ويكلمها بضع مرات فى التليفون فالأمر
لم يصل إلى الحب الذى يجعلها تقف من أمها الذى يتبعها أبوها
موقفا فيه تعنت. وكان اعلان القبول ليحيى يحمل فى ذاته اعلان
الرفض لوجدى وحامد معا..
وتم الزواج.

□ نفوش مر ذهب و نلاس



حين أعلن قانون الإصلاح الزراعي كان راشد باشا قد لقي ربه فلم يتح له أن يشهد نتيجة تصرفه الذي استبدل الأرض فيه بالعقارات، ولكن أسامة قرأ الفاتحة على روح أبيه شاكرًا له ما صنع، فقد استطاع أن ينجو به من الاستيلاء على أمواله.

أما يحيى فقد كان يملك أرضا كثيرة، وكان قد أنجب ولديه باسل وشهاب، وكان من الطبيعي أن يبحث عن محام ليقوم له بعمل الاقراءات. ولكن قبل أن يبحث كان حامد عبد البديع بين يديه.

- سعادة البك النسب له حقوق.

- طبعًا.

- بمجرد نشر القانون جئت لأقوم عنك بعمل اللازم.

- ألف شكر.. فكرت أن أتصل بك ولكن مسألة الأتعاب جعلتني...

- مسألة ماذا؟

□ نفوشر من ذهب ونحاس

- وهذا ما كنت أخشاه.
- لا تقل هذا الكلام يا سعادة البيك.. عيب.. لا يصح.
- إذا لم تأخذ أتعابك فاسمح لى لن أستطيع أن أوكلك.
- وهل بيننا أتعاب.. إنما بيننا نسب.
- هذا لا يمنع هذا.
- وماذا يقول أخى، وماذا تقول بنت أخى سعادتك هالة؟
- لن يعرف أحد منهم شيئاً.
- على كل حال هذه مسألة نتكلم فيها فيما بعد.
- وهو كذلك.
- كم فدانا عند سعادتك؟
- ما يقرب من ستمائة وستين.
- كل هذا؟
- نعم. فقد اشترى أبى أرضاً كثيرة.
- وكم عمارة؟
- هل القانون ذكر شيئاً عن العمارات؟
- لم يعد شىء مؤكداً.
- عندى ست عمارات.
- العمارات تكتبها سيادتكم باسم باسل وشهاب.
- وأن أكتب لكل منهما خمسين فدانا.
- طبعاً. ولكن الأرض الزائدة لها عندى ترتيب آخر.
- ماذا؟
- ليس من المعقول أن تسلمهم ثلاثمائة وستين فدان.

□ نفوس من ذهب و نبال

- وماذا يمكن أن أفعل؟
- القانون أتاح لنا شهرا للبيع.
- نعم.
- أنا - إذا سمحت - سأذهب إلى العزبة وأبيع بقدر الامكان.
- لا بأس.
- غدا تكتب لى توكيلا.
- وهو كذلك.
- والباقي بعد البيع سأصرف فى شأنه.
- ماذا؟
- سأصرف فى شأنه.
- ماذا تعنى؟
- أعنى انك لن تسلم فدانا واحدا للحكومة.
- ماذا تقول؟
- يحى بك هل سعادتك محام؟
- لا.
- إذن اتركنا نشوف شغلنا.

* * *

كان وجدى جالسا فى بيته وحوله جماعة عجيبة.. كيف عرفهم؟ ومتى عرفهم.. هذه هى عبقرية وجدى وعبقرية إناهد.. وكانت ناهد فكرى تزين الجلسة، ومعها الراقصة الذائعة الصيت سوسن. وما أظننى بحاجة إلى أن أذكر اسم والد سوسن فشهرتها قامت باسمها وحده دون اسم السيد والدها. وعلى كل حال فاسم

□ نفوش من ذهب و نخل

أبيها إذا قالت ل يكون الاسم الحقيقي. فليس من المعقول أن تقول ان اسم أبيها هو عبدالدايم. ومادامت قد غيرت اسمها الأصلي الذى كان شلبية فقد كان لابد لها أن تبحث لعبدالدايم عن اسم آخر يضرب إلى التركية أو الارستقراطية. وعلى كل حال هى فى غير حاجة إلى هذا البحث. والذين يلتفون حولها لا يعنون فى قليل أو كثير باسم أبيها. فمادامت بهذا الجمال وهذه الرشاقة، ومادامت تستطيع دائما أن تضحك هذه الضحكة ذات الصليل، فهى فى غير حاجة إلى أب على الاطلاق.

فى بيت وجدى الكؤوس تدور، حتى لقد أصاب الكؤوس نفسها دوار من الخمر أو التنقل.. لا يهم.

وتلف أيضا على المدعوين غابة ينفذ من خلالها الدخان المخدور، والغابة لا تكف عن الدوران.

يعدها لهم فتى توسط حلقته، إن أنعمت فيه النظر، وأنت محتاج إلى إنعام النظر. فالدخان ضباب كثيف، والرؤية ليست ميسورة. وما هم فى حاجة إلى رؤية ميسورة، ولكن أنت لابد لك أن تنعم النظر. فإذا فعلت وجدت الفتى الجالس الذى يعد المخدر هو جابر عبدالبديع. أتذكره.. ما إخالك ألا تذكره.. إنه زوج هالة وهو نفسه أخو حامد.

* * *

باع حامد من أرض يحيى تسعين فداناً، وكان القانون يبيع للأسرة ثلاثمائة فدان. فكان لابد أن يستولى الاصلاح الزراعى على مائتين وسبعين فداناً.

- إذن نسلم الأرض.
- يحيى بك أهذا كلام؟
- وهل هناك كلام آخر؟
- هذا شغلى أنا.
- وهل هناك شغل أيضا فيما يفرضه القانون؟
- القانون صديقى، وأنا أعرف كيف أتصرف معه.
- حتى القانون أصبح صديقك؟!
- مؤكدا.
- كيف؟
- من الذى يطبق القانون؟
- القضاة.
- هذا فى القضايا العادية. أما فى الإصلاح الزراعى فهناك جهات كثيرة قبل أن نسمع كلمة القضاء هذه.
- آه فهمت!!
- ومن يفهم إذا لم يفهم يحيى بك؟
- إذن نتفق على الأتعاب.
- أنت مصر على تسميتها أتعابا!
- سمها أنت كيف تشاء.
- أحب أن أسميها هدايا؟
- لتكن إذن هدايا.
- كم أهديتنى عن الأرض التى بعثها عنك؟
- ثلاثين جنيها عن الفدان؟



□ نفوشر من ذهب ونحاس

- ستكون الهدية فى هذه الفداين.
- وقبل أن يكمل جملته دخلت بهيرة:
- أتعملان..؟
- نعم.
- إذن أترككم؟
- وهل هناك عمل يخفى عليك. تفضلى يا بهيرة هانم؟
- وهو كذلك.
- وقال يحيى:
- لم تقل هدية الفداين الباقية.
- أقولها لك غدا فى التليفون.
- كنت على وشك قولها.
- لم أكن أنوى أن أقول الرقم.
- فماذا كنت تنوى أن تقول؟
- كنت سأقول اننا سنجعلها هدية واحدة لكل الأرض مرة واحدة.
- لا بأس.
- ولن أخذ شيئا إلا بعد أن تطمئن إلى قبول التصرف من الجهات المختصة.
- موافق.

* * *

- حين دق جرس التليفون ردت بهيرة:
- بهيرة هانم؟
- أنا.

□ نفوس من ذهب ونحاس

- أنا حامد عبد البديع.
- مرحبا يا أستاذ.
- أنا سعيد الحظ جدا.
- كذا.
- وهل فى هذا شك؟
- شك كبير!!
- لماذا لا قدر الله؟
- بالأمس أنهيت الحديث بمجرد دخولى.
- وهل تهمل هذه الأعمال؟
- أليست أعمال زوجى؟
- أنا تحت أمرك.
- يا أستاذ حامد زوجى لا يخفى عنى شيئا أبدا.
- وهل معقول أن شخصا له زوجة مثلك يخفى عنها شيئا؟
- أهذا رأيك؟
- هذا جزء من رأىى يا أفندم.
- الجزء الأول.
- لا.. هذا الجزء العشرون والأخير.
- وماذا عن الجزء الأول؟
- الجزء الأول خاص بالجمال والأنوثة.
- كفى كفى!!
- حضرتك التى سألت يا أفندم.

□ نفوشر من ذهب ونحاس

- من معك؟
- وهل معقول أن يكون أحد معي وأنا أتكلم عن هذه الأجزاء؟
- متى سنراك؟
- أمرك.
- الليلة.
- تحت أمرك.
- يحيى بك موجود؟
- أيهمك وجوده؟
- المهم وجود حضرتك.
- الساعة السادسة اليوم.

□ نفوس من ذهب و نیکاس



ناهد فكرى سيدة عجيبة فى المجتمع المصرى. إنها ليست من طبقة
الأمراء. وأبوها ليس وزيرا ولا هو رئيس وزارة. إنما هو رجل عاش عمره
يؤدى عمله كموظف فى وزارة المالية.

وكان طريقه فى الحياة يفرض عليه أن يعرف ذوى الشأن فى السياسة
والمجتمع. ولكنه هو نفسه لم يكن يحب أن يخوض المجتمع أو يدعى
السياسة. وهو رجل موظف. وهو موظف أمين شريف لم يسمع أحد عنه
شيئا يشوب سمعته بسوء. وزوجته هى ابنة عمه وجدان هانم قرنى، وقد
كانت سيدة من خيرة السيدات ليس لها فى الحياة إلا زوجها، وبيتها
وابنتها ناهد وابنها سعيد، وكانت السيدة لا تترك سجادة الصلاة إلا
لتقوم بشئون بيتها، وكان من الطبيعى أن يرسل الأب ابنه وابنته إلى
المدرسة، فقد كان من هذا الجيل الذى اعتبر التعليم ضرورة لا غنى عنها
للقتى أو الفتاة على السواء.

وأتى سعيد الدراسة واشترى له أبوه سيارة، فإن موارده لم تكن قائمة
على مرتب الوظيفة، وإنما كانت الوظيفة مجرد أن يكون موظفا، فقد كان

□ نفوس من ذهب ونحاس

يجل نفسه أن يكون بلا عمل مهما يكن غناه هذا الغنى الفاحش الذى تركه له والده.

لقد كان فكرى الزينى يملك ثمان عمارات إلى جانب تسع قطع أرض فضاء جميعها صالح للبناء، وكانت كل قطعة منها لا تقل عن العشرين فدانا، ويصل بعضها إلى خمسين فدانا. ولكن فكرى لا يتصور أن تكون وظيفته فى الحياة مالكا فقط.

فقد كان يرفض أن يروى المجتمعات، ويرفض كما ذكرت لك أن يعلم بالسياسة، فإذا خلت حياة الغنى من مجتمع أو سياسة أصبحت فراغا لا يطيعه أحد.

لم يكن عجيبا إذن أن يشتري فكرى لابنه سعيد سيارة، ولم يكن غريبا أيضا أن يختار سعيد أفخم سيارة فى ذلك الحين، وقد كانت «باكارد»، وكان لها غطاء يرفعه عن نفسه أو يسدله كيفما يعن له.

ولكن فكرى لم يقدر أن ابنه حين اشترى السيارة كان قد أعد لنفسه الوسيلة التى يموت بها.

هكذا شاء القدر، ونزلت الفاجعة عليه وعلى زوجته قاصمة توشك أن تخلع جذورهما من الحياة، ولولا أن تعلقا بالإيمان، ولولا هذا اللطف الخفى الذى تبطن به السماء الفواجع لكان الجنون أقل ما ينتظر الرجل الطيب وزوجته المتوكل على الله.

وهكذا انفردت ناهد بوالديها، فكانت تصنع كل ما لا تستطيع فتاة فى سنها وفى مجتمعها أن تفعله.

الملايس غاية فى الفخامة. السيارة دائما من آخر طراز. الزينة يقوم بها أعظم المتخصصين وأدوات الزينة تأتى من أعظم الأنواع، وإذا لم تسعفها بها القاهرة، وقد كانت من أعظم الأسواق العالمية، أسعفتها بها باريس أو لندن أو أى بلد فى العالم.

وامتدت صداقات ناهد مع كل رواد المجتمع الذى كانوا حينذاك من بنات وأبناء الأمراء. فإن تواضعوا فمن أبناء وبنات رؤساء الوزارات أو الوزراء

□ نفوش من ذهب ونحاس

أو وكلاء الوزراء، وقد كانوا فى هذه الأيام ذوى طنين ويمكن أن يكون رواد هذه المجتمعات من مجرد الأغنياء، ولكن حتما عليهم حينئذ أن يكون أبائهم وأمهاتهم هم أنفسهم من رواد الصالونات يدعون إلى بيوتهم كما يدعولهم الناس، وإلا فلا مكان لهم أو لأولادهم فى هذه الأبهاء..

ولم يكن فكرى ولا كانت الست وجدان ليفكرا أن يرودا هذه الصالونات، ومن المؤكد أن أحدا منهما لم يكن يفكر أن يدعو إلى مثل هذه الحفلات. ولكن العجيب، وهذاما جعلنى أبدأ هذا الفصل، أن السيدة ناهد سيدة عجيبة فى المجتمع.

كيف يسمح أبوان لا شأن لهما بصالونات المجتمع ومبازله لابنتهما أن ترودا هذه المجتمعات ولا يمنعاها.

وكيف استطاعت هذه الفتاة بمفردها ودون عون من دعوات توجيهها مثل الدعوات التى تتلقاها أن تفرض نفسها على المجتمع بهذه القوة وهذا الجبروت.

لا يستطيع المجتمع أن يدعو جميع أعضائه فى كل دعوة.. وإنما هناك دائما نوع من الاختيار، والذى دعى هذه المرة عند قلان يستطيع قلان آخر ألا يدعوه فى المرة اللاحقة.

إن أى بيت من البيوت التى تصطنع هذه الدعوات لا تستطيع أن تحتل أكثر من عدد معين يمثل على أحسن تقدير عشر هذا المجتمع، أو واحدا على عشرين منه.

ولكن مهما تكن الدعوات قليلة، ومهما يكن البيت صغيرا، فلا بد أن تصدر الليلة ناهد فكرى.

أى سحر فيها؟

إنها جميلة. لاشك فى ذلك، ولها هذا العطر السحرى الذى يجذب العيون والقلوب. فهو عطر ممزوج بجسمها تكون معها، وهى بعد جنين لا تشتريه ولا يستطيع أحد أن يشتريه، فيه هذه الخاصية التى لم يستطيع أحد أن يكشف سرها وإنما هى تأسر فى غير عقل وتستولى على المشاعر

□ نفوس من ذهب وفضة

فى غير منطق. وكل ما عليها من عطور وملابس وما صنعه البشر بشعرها من تلافيف أو بوجهها من زينة لا قيمة له مع هذا العصر الذى منحته لها الطبيعة والذى لا يعرف أحد مآته والذى نحمد الله أن أحدًا لا يعرف مآته، وإلا أصبح الرجال جميع الرجال عبيداً أو مجانين، وأصبحوا جميعاً - ولا شك فى هذا - عصاة.

ولكن اهذا العطر هو الذى يجعلها تنصدر الحفلات جميعاً.. كيف؟.. إذا قبلنا ذلك فى الحفلات التى يقيمها الرجال فكيف بنا أن نقبله فى الحفلات التى يقيمها النساء.. إنها هناك مهما يكن جنس الداعى رجلاً كان أو كانت امرأة، عجوزين كانا أو كانا من الفتيان..

وهذا السحر فيها ممتاز به اثنتان أو ثلاث فتيات أخريات. وهن أيضاً يستقبلن الدعوات. وحين يجتمعن ينشق الحفل عن مباراة فى الجمال والأنوثة لا يهم أحداً من الكاسب فيها ومن الخسران. فالؤكد أن المدعويين جميعاً هم الكاسبون.

ولكن أولئك الفتيات كثيراً ما تؤجل دعوتين، وكثيراً ما تخلو منهن الحفلات إلا ناهد.. إنها دائماً هناك.. هذا هو العجب..

والمجالات تتابع هذا المجتمع فى اصرار ومازالت تتابعه.. لم تستطع ثورة حطمت كل المعايير والمقاييس والقيم القديمة أن تحطم أمون ما فى هذا المجتمع من متابعة المجالات لأخبار الصالونات.

وقد هشمت الثورة من كان يؤم هذه الصالونات، ولكنها فى نفس الوقت خرجت للصالونات قوماً آخرين.

وإن كان المجتمع المهشم قد أدرك معنى الصالون ومعنى الأيبسون والشينوا، ومعنى الرفق فى الغزل، والكلمة تهمس ولا تقذف، واحتساء الخمر بحذر حتى لا يفلت الزمام إلا قلة هزيلة منهم كانوا مرضى. وإن كان المجتمع الذى هشمت الثورة يعرف معنى الموسيقى الحالة أو الصاخبة، ويعرف كيف يمسك بأدوات الطعام الفضية أو الكريستوفل أو المستجلبة من شيفيلد وميبل أندوب، ويحيلها على الأطباق السفر أو

الليمون فلا تسمع لها إلا همسا كهمس المحبين.
فإن المجتمع الجديد يعرف كيف يشتري أغلى الأشياء، ويقذف بها فى صالوناته لا يفكر فى موامة بعضها لبعض. فهذان كرسيان حديثان غاية فى الغلاء موضوعان إلى جانب أريكة أبيسون! وهذه متضدة من النوع الحديث المرتفع الثمن إلى جانب كرسي مرسوم على نمط لويس السادس عشر. والخمر فى المجتمع الجديد أنهار، والشاربون يعجبون عبا ويعلمون وينهلون ولا يحتسون، فهم يريدون أن يسكروا لا أن يشربوا، والمجتمع الجديد يخصص حجرات للمخدر ذى الدخان أو المخدر الذى يبلع، فالسكر عندهم هو الغاية، وهم يملكون إليه الوسيلة.
والأطباق غالبية الثمن، والأدوات مازالت فضية، ولكن إذا مد الطعام نشبت أمامك معركة بين أدوات الطعام والأطباق.
وعلى الحالين المحلات عندنا تهتم بهذا المجتمع. كانت تهتم بالمجتمع الراحل، وهى اليوم تهتم بالمجتمع الذى أخذ مكانه.
وفى أى مجتمع تسطع ناهد فكرى لتكون نجمة كل المجلات، فإذا هى فى بعض عام أعظم شهرة من كواكب السينما جميعا.
وحين أقبل الإصلاح الزراعى كان أبوها قد انتقل إلى العالم الآخر بعد أن جعل ناهد مالكة لكل ما يملك، وحين أصبح المجتمع الجديد هو المجتمع المتعمد المعترف به، راح مجتمع ناهد القديم يلطم أذنيه ويتخفى فى التايغ، ويبتعد عن أضواء آلات التصوير، بل عن أضواء الشمس إذا استطاع.

والعجب أن ناهد استطاعت فى مقدرة فائقة أن تغرب من المجتمع القديم لتشرق فى المجتمع الجديد، وإن كانت فى المجتمع القديم كانت شمسا مع ثلاث شمس أو شمسين، فهى فى هذا المجتمع شمسه الرفيعة المتألقة التى تفرد بسمائه.

تلك هى قصة ناهد مع المجتمعين.. ماذا عن ناهد فى بيت أبيها ذلك الرجل الجاد وأما تلك السيدة الودود التى لا تعرف إلا البيت والصلاة.



كان أمر الوالدين عجبا. حاولا بكل ما يملكان من جهد أن يقفا بين ابنتهما وبين الطريق الذي اختارته، ولكنها كانت كالفرس الجموح. وحين طالت المناقشات بينهما وبين أبويها وأوشكت أن تضيق بها، وجدت وسيلتها من قريب.

كان وجدى موجودا فى كل دعوة تلبيها ناهد. وكان جماله الواضح يجعله دائما ملتقى اهتمام. وكان وجدى قد أعد نفسه لهذا المجتمع فعرف كيف يكون سهلا فى حديثه يسير به على سطح الأرض ولا يغوص فى أعماقها. إن دخل فى نقاش استطاع أن يقنع كل من يحادثه أنه صاحب الرأى الحق. وهكذا كان يترك الآراء تشتجر وتتشابك وهو يقف منها موقف المؤيد لكل رأى. فقد أدرك من المجتمعات التى هيأتها أمه أن من لا رأى له هو أقرب الموجودين إلى قلوب الحاضرين.

ولكل إنسان فى الحياة هدف ومتجه، وما كان وجدى ليفكر مطلقا أن يكون صاحب مكانة فى الحياة العامة. وإن كان هذا المجتمع بالذات هو غايته وهدفه حتى شهادة الحقوق التى حصل عليها كان يعتبرها وسيلته إلى هذه المجتمعات وليسست وسيلته - لا قدر الله - إلى قضاء، واقفا كان هذا القضاء أو كان جالسا.

وحين شب وجدى عن الطوق، وعرف قصة ميلاده، تقبلها فى هلع أول الأمر، ثم أمعن النظر فيها، فإذا هو يخرج بها إلى رأى استقر عليه وارتاح له. لقد أعجب بأمه غاية الإعجاب، فليس عليها من بأس فى رأيه أن تصل بينها وبين أبيه عزت وهو من هو جمالا. لقد رآه حين زحفت الغضون إلى وجهه، لم تستطع أن تعدو على جماله. وحين مات عزت فكر أن يسير فى جنازته، ولكنه خشى أن يتغامز عليه المشيعون، فاكتمى بدموع تحدث من عينه فى طى الكتان، ولم يكن يدرى يومذاك لماذا يبكى، فأبوة عزت له أبوة أساعت إليه أمام الناس ثم هو لم يشعر منه بحنان. وجمود الأبوة يجعل الأبناء يكرهون آباءهم أكثر من كراهيتهم لأعدائهم. فالمفروض أن العدو لا يرحم، والمفروض أن الأب رحمان وعطوف وحنون، كله اشفاق وقلب يخفق

□ نفوس من ذهب ونحاس

بابنه، وروح ترفرف حيث يتحرك أبناؤه.
فإذا لم يرحم فقد خرق نواميس البشر، وإذا قسا بغير عدالة فقد قلب
واقع الأفلاك. أما إذا جحد ابنه فكان عنده هملا لا وجود له. فهو قد مزق
استار البشرية، وانحط إلى درك الحيوان.
ولكنه بكاه..

كان وجدى إذن يرى أن لا بأس على أمه أن تقيم بينها وبين أبيه عزت
صلة. فشأن السيدة المطلقة أن تبحث عن سند لها فى الحياة. وإذا لم
يتوافر السند الشرعى فإن وجدى يرى أن لا بأس عليها أن تبحث عن سند
غير شرعى. فإذا كان جميلا فالعذر إذن ممهد لها.
ويرى وجدى أن أمه كانت ذكية حين ألحقت نسبه إلى عبدالمحسن باشا.
فهى تختار لابنها.. ومن حقها أن تختار له.. الأب الأحسن.. ومن أحسن
من عبدالمحسن باشا.. وجعلت الطفل شرعيا أيضا.

وليقل الناس بعد ذلك ما يقولون.. لقد فاز بناء على حكم القضاء بأب
باشا وبثروة جديرة بالباشاوات. وهكذا استطاع وجدى فى قدرة لا تتأتى
إلا لنوع خاص من البشر أن يعجب بأمه لأنها ذكية ويعجب بأبيه الذى
صنعت له الحكمة لأنه باشا، وبأبيه الذى فرضته عليه الحقيقة، والطبيعة
وأحاديث الناس، لأنه جميل ولأنه قادر على أن يجعل النساء يحببته.
فوجدى فى نظر نفسه يجمع المجد من ثلاثة أطراف أن كان أهل المجد.
والشاعر الذى تحدث عن أطراف مجده يجمعون المجد من طرفين اثنين
على أكثر تقدير. والغالبية العظمى أن كان لهم مجد يتفاخرون به فهو لا
يزيد على طرف واحد.

وخاض وجدى المجتمع بهذه الثقة الهائلة بنفسه وبميلاده، وكثرا ما كان
يغبط نفسه، لأن الكثيرين ممن يخوضون هذا المجتمع يحتاجون إلى جهد
جهيد من ثقافة خاصة، ودرية فى التعامل، وممارسة لهذه الحياة، واختلاط
بالأسرات، وزمن طويل حتى يتحقق لهم آخر الأمر شهرة بين أبناء هذه
المحافل، أما هو فقد وجد شهرته سبقتة إلى محافل هذا المجتمع جميعها

ولم يكن يضيق حين تعرفه بعض السيدات بأخرى قائلة وجدى ابن نجاة، مقنعا نفسه أن الأم صديقة السيدات، ومن الطبيعى أن يتسب إليها عندهن، ولا يريد وجدى أو هو لا يهمه أن يتشكك فى السيدة التى تقدمه على هذه الصورة أنها إنما تتخلص من حيرة بين الحقيقة القضائية والحقيقة التى تعرفها هى ويعرفها الجميع. ويؤكد هذا الشبه بين الابن وبين أبيه الحقيقى. قالت له ناهد

- أظن أننى كبرت وأنت أيضا على هذا اللف والدوران؟

- أى لف ودوران؟

- وكبرنا أيضا على الاستعباط!!

- والنتيجة؟

- قل أنت ماذا تريد.

- مادمننا قد وضعنا شروطا للعبة فيجب علينا أن نلتزم بها جميعا.

- حسنا.. لن ألف معك.. أهى محاولات منك لاجتذابى إليك أم أنت جاد

فى الغزل، وهذه النظرات التى أصبح الجميع يتندر بها.

- هذا يقوقف على معنى الجدية.

- لا يختلف اثنان فى معناها.

- ولكن نحن قد تختلف.

- مختلفان عن الناس؟

- المؤكد أننى لم أسمع أن مثل هذا الحديث دار بين اثنين قبلنا.

- لأنك دائما تدير أحاديث أخرى.

- وأسمع أحاديث أخرى أيضا.

- استطعت فى فرح هالة فقط أن تقيم علاقة بينك وبين بهيرة.

- أما زلت تذكرين؟

- أنا لست مثل بهيرة.

- هذا مؤكد.

- أنا أعرف أنك طالبت أن تتزوج بهيرة.

- أمى التى طلبت.
 - لم يكن حبا إذا؟
 - بداية استلطاف.
 - والذى تفعله معى الآن.
 - ماذا تريدينه أن يكون؟
 - أنا لا إمانع فى الزواج.
 - وأنا أرحب به.
 - على شرط.
 - كل الشروط مقبولة.
 - أن يعيش كل منا بالطريقة التى تروق له.
 - أمعقول أن تقولى هذا؟
 - هذا ما سأفعله.
 - فى استطاعتك أن تفعليه دون أن تذكره.
 - لا أحب الخداع.
 - ربما كنت أحبه.
 - لعلك احتجت إليه.
 - كل الناس تحتاج إلى بعض الخداع.
 - ولكن بعض الشروط تحتاج إلى الخداع الدائم.
 - لقد قبلت الشرط.
- ولم يتردد فكرى فى قبول خاطب ابنته رغم أنه يعرف كل شىء عن تاريخ حياته، بل إن وجدان هانم رحبت بوجودى. فقد كان الأب والأم كلاهما يخافان كل الخوف الا تتزوج ابنتهما بعد أن أصبحت حديث المجلات وأبواب المجتمع. وكان فكرى بك فى أخريات أيامه وكان يخشى كل الخشية أن يترك ابنته بلا زوج فيزداد سفورها على الحياة. وهكذا تم الزواج فى سرعة. واستقلت ناهد ببيتها، ولم تعد رقابة أمها أو أبيها تلاحقها.

□ نفوس من ذهب ونحاس

وسرعان ما استقرت الحياة بينها وبين وجدى يل سرعان ما تفاهما . لم يكن طريقهما متباعدين . كان الطريق واحدا ولكن كلا منهما كان يسلك الطريق لحسابه الخاص .

لم تمض شهور على الزواج حتى كان فكرى الزينى قد لقي ربه ، ولم تمض شهور أخرى حتى صدر قانون الإصلاح الزراعى ، وشمر وجدى عن ساعد الجد ، وشمرت معه ناهد ، فإذا بيتهما ملتقى الأرياب الجدد ، أو أنصاف الأرياب من الأتباع ، واستعملت ناهد كل وسائلها من سحر الأنوثة وعطر السماء ، وتخاضع اللفظ ، واختيار الإشارة ، ورسم الابتسامة ، وإفتعال الغضب ، واصطناع الحفلات ، وصناعة الأبهار .

واستعمل وجدى كل ما حبته به الطبيعة من اصطناع الغباء ، وقبول كل الأوضاع ، وتوطيد الصداقات مهما يكن ثمن الصداقة من عرض أو سمعة . فما يعنيه العرض ، ولا قيمة عنده للسمعة ، فهو من هو عرضا وسمعة بحكم الميلاد .

لقد كانت ثروة أبيه من الأرض الزراعية ، وقد استطاع بموامبه هذه أن يبقى عليها كاملة لم يتسلم منها الإصلاح الزراعى شيئا ، وقد أعانه على تلقيق الأمور حامد عبد البديع .

ومن هذه الأبواب التى تفتحت لحامد على يد وجدى وأخيه جابر الذى كان على صلة قديمة ببعض الأرياب الجدد ، استطاع حامد أن ينقذ أرض يحيى ، ويتقاضى ثمنا لذلك عشرين فدانا من أرض يحيى يصحبها أيضا عرض يحيى .



لم يكن أسامة يتصور حين حصل على شهادة الحقوق أن يتجه إلى ما اتجه إليه. فقد بدأ حياته بأن تمرن في مكتب المحامي الكبير صديق والده مهران باشا عبد الفتاح، وقد استطاع أن يعرف في هذا المكتب الكبير كيف يكون المحامي كبيرا. فأسامة يجيد الفرنسية، وهكذا كان يستطيع دائما في كل القضايا أن يرجع إلى أهم المصادر، وقد علمه مهران باشا كيف يتناول القضايا، ويتعامل معها، ويغوص في أدق ما تخفيه أوراقها.

وما هي إلا شهور حتى تبين مهران باشا أن أسامة يملك موهبة المحاماة. وأدرك أن أسامة يستطيع أن يكون امتدادا لأجيال العباقرة من المحامين أمثال عبدالعزیز فهمی ومرقص حنا والهلإوی وهیب دوس وعلوبة ومرعى إلى آخر هذه الأسماء التي وطدت دعائم المهنة الخطيرة وأرست أركانها في مصر وفي الشرق العربي.

وقد أدرك أسامة أن علمه باللغة الفرنسية سيمكنه أن يكون محاميا عملاقا في القضايا المدنية. فهي التي تحتاج إلى البحث والرجوع إلى

□ نفوس من ذهب و نكاح

المصادر الأصلية للقانون.

وراح أسامة يخطو خطواته الأولى، ولكن قليلا ما خطأ.. فسرعان ما انقلبت موازين المجتمع كلها.. ولم يصبح للقانون المدني مكانه بالقانون المدني يقوم أساسا على أن للمال حرمة، والدولة هي التي تحمي هذا المال أن يستلب بطريق غير مشروع.

فحين تستلب الدولة نفسها هذه الأموال، وتصدر القوانين بالحراسة والمصادرة لاستلابها تسقط حرمة المال، ويصبح اختطافه والاستيلاء عليه بغير حق هو الأصل، وتصبح حرمة واحترام حق الإنسان فيه استثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه.

وفي ظل هذه الشرائع الجديدة من سقوط الشرعية ينزوي القانون خزيان ينظر ويتحسر وتدمى جراحه ولا ينطق. فالقانون هو الشرعية فإذا استبيحت الشرعية اندثر القانون. وهكذا أصبح القانون المدني تاريخا يروى عنه كفترة من الزمان كانت ولم تصبح وممرت ولم تعد توجد. وتخلو الحياة من القانون. وتخلو أيضا من العاملين في القانون. وهكذا كان من الطبيعي أن يبحث أسامة لنفسه عن عمل جديد. لم يتصور أنه يستطيع أن يتوظف. فقد تعلق بالمحاماة وأحبها ورسم مستقبل حياته على أن يكون محاميا. وقد قضى السنوات التي عمل بها في المحاماة في توطيد أركانه في ميدان القانون.. والقانون المدني بالذات. حين رأى القانون المدني يحتضر حار به الطريق وأشككت أمامه المناهج، لم يعد يدرى إلى أي مصير يصوب غايته.

كان قد خلف مهران باشا في المكتب في صفقة مالية معتدلة جدية برجل كبير مثل مهران باشا، وبشباب غنى مثل أسامة، وفي الأيام الأولى لاستقلاله بالمكتب بدأ الانهيار القانوني في الحياة المصرية، وأصبح أسامة يتابع القضايا القديمة في المكتب ويقيه يزداد كل يوم أنه لن يجد قضايا جديدة.

فاسم المكتب كبير، ولا يؤمه إلا أصحاب القضايا الكبيرة، وهؤلاء



زالوا تماما من الحياة المصرية مضيعين بين المصادرة والحراسة. وباسم الحراسة والمصادرة اغتالت الدولة الغالبية العظمى من أصحاب المال بقانون، فكان شأنها مع هؤلاء شأننا فريدا. فالسارق يعاقبه القانون ويسترد منه المال، أما إذا اغتصب القانون نفسه المال فى حماية من قوة الدولة وسلطانها، فإنه حينئذ يصبح اللص أشرف من الدولة، وتصبح السرقة أشرف من القانون. فلم يكن غريبا أن يدرك أسامة أن المكتب إلى افلاس. وإن كان هناك بعض محامين صغار يروحون ويجيئون فى المحاكم. فإن هؤلاء إنما يترافعون فى قضايا صغيرة، لا تستطيع أن تقترب من باب المكتب الكبير.

كان أسامة واثقا أنه لابد له أن يبحث عن طريق آخر، وكان وثوقه هذا يزداد فى كل يوم ايقانا.. أين إذن الطريق.. فكر أن يكتب لجميل فى الكويت، أو لصبحى فى السعودية لعل واحدا منهما يستطيع أن يجد له عملا هناك. فهو لا يطبق البطالة حتى وإن كان موقور المال.. كان فى ذلك اليوم أوشك أن يصمم على كتابة الخطاب ولكن وكيل المكتب يدخل إليه.

- زوجة محمدین تطلب أن تراك.

- عم محمدین.

- قالت إنك تعرفها.

- أدخلها فورا.

وقام أسامة وراء وكيله وفتح باب مكتبه وهو يصيح:

- أهلا أمه مرسيلة.

- أهلا بك يا ابنی.

- أين أنت..؟

- فى الدنيا.

- تفضلی.

وتدخل السيدة العجوز، ويجلسها أمامه على كرسى قريب من مكتب،

□ نفوشر من ذهب و نكاح

ويجلس أمامها كما يفعل مع كبار الزوار. إنها زوجة عم محمد بن الذي كان مع أبيه وجده والذي لقيه على كتفيه. وكان عم محمد بن قد مات منذ سنوات، وسأل أسامة زوجته هذه التي يناديها أمه مرسيلة إن كانت تريد مرتباً شهرياً أم تريد مبلغاً واحداً مرة واحدة، ففضلت المبلغ الواحد فأعطاهما ألفي جنيه، وطلب إليها أن تقصد إليه في أي لحظة إذا احتاجت إليه، وكانت والدته منذ فترة تطلب إليه أن يسأل عنها. وذهب فعلاً إلى البيت الذي كانت تقيم فوجدها قد تركته، ولم يعد يعرف عنوانها فكان فرحه بمجيئها طبيعياً، فقد كان يريد أن يطمئن على أحوالها، وهي في هذه السن المتقدمة كما كان يريد أن يطمئن أمه عليها. - لقد وقعت من السماء.

- أتلُفك بعيني يا أمه مرسيلة.. أين أنت؟ لقد ذهبت إلى..
- سأحكى لك.. حين أخذت منك المبلغ كان عمك محمد بن قد اشترى أرضاً بطلوان، وهو يعمل مع المرحوم والدك قلت أضع المبلغ في بناء بيت يسترنى أنا وابنتي راشد وزوجته.

- راشد تزوج.
- لم يكن أيامها متزوجاً ولكن قلت في نفسي أنه لابد سيتزوج.
- معقول.

- وتزوج فعلاً. واسم النبی حارسه تعلم ميكانيكى.
- سيارات.

- سيارات وكل الماكينات، واستطاع واحد من أصحابه أن يعينه بشركة من شركات الحكومة.

- عظيم.
- أنا أجرت شقة في حلوان لأكون بجانب البيت، وهو يبنى، ورشد تعين.

والحمد لله أصبحت الحالة ميسورة، وتزوج راشد بنت حلال من أربع سنوات، وعنده الآن ولدان على وحسين.
- باسم الله ماشاء الله..



□ نفوس من ذهب ونحاس

- تعيش.. ما أدرى من يومين إلا وواحد من أصحاب راشد يدخل على على ويخبرنى أنهم قبضوا على راشد.
- ماذا.. لماذا؟
- قال صاحبه انه كان فى مظاهرة.
- مظاهرة.. وهل هناك مظاهرات الآن؟
- يا ابنى والله لا أعلم.. قال عن البتاع الاشتراكي، وانه قال فى الاجتماع كلاما جعل الرؤساء يزعلون.. المهم الولد محبوب.
- أين؟
- لا أدرى.
- كيف؟
- ليلتين الآن لم يأت إلى البيت ولا أعرف له طريقا.
- من الذى قبض عليه؟
- سبحانه العالم.
- طيب يا أمه مرسيلة تعالى أنت معى الآن إلى البيت.
- أرهح يا ابنى. البننت امرأة راشد فتها فى البيت حالها ملخبط، ولا يصح أن أتركها وحدها.
- اسمعى.. تعالى معى، وسأرسل السيارة تأتى بزوجة راشد ويعلى وحسين أيضا.
- يخليك.. يطول عمرك.. يعمر بيتك.
- قومى يا أمه مرسيلة.. قومى.. هيا.. نينا ستفرح جدا لما تشوفك..
وأنت أيضا ستفرحين لما تشوفى مراتى نادية وابنى راشد وفهمى.
- محفوظ باسم الرحمن الرحيم تعيش الأسامى.. ولا تدعونى ياسى أسامة.. لقد شلتك على كتفى ولا أحضر فرحك.
- رينا يعلم.. بحثت عنك بلا فائدة.. على كل نصلح الخطأ اليوم.. هيا بنا.



الخيانة ليست وليدة منطق، وإنما هي طبيعة فى بعض الناس، أو إن شئت الدقة هي طبيعة فى أكثر الناس، مثلما تجد الأمانة طبيعة أيضا عند قلة من الناس.

وقد تعاني المرأة من زوجها ما تعاني، ولكنها مع ذلك تظل شريفة دون أى منطق يدعوا لهذا الشرف إلا أنها هي بطبيعتها شريفة، ولا تتصور أن الحياة فيها طريق آخر غير الشرف.

وليس صحيحا أن البنت لأنها كما يقول هذا المثل السخيف الذى يكفى القدرة على فهمها دون أى داع، ودون أن يكون للقدرة أى دخل فى الموضوع إلا أن تكون مقدمة دون معنى لنتيجة لا صلة لها بالمقدمة، ثم هي نتيجة خاطئة.

فكثيرا ما عرفت الحياة فتيات شريفات غاية الشرف، وهن من أمهات لا يعرفن الشرف فى أى شىء.. وكثيرا، بل وكثيرا جدا ما أصبحت بنات غير شريفات وهن فى ذلك من أمهات كلهن شرف، وهكذا تجد نفسك فى غير حاجة أن تكفى القدرة على فهمها لتطلع البنت لأنها، كما



□ نفوشر من ذهب و نكاح

يقول هذا المثل العامى الساذج.

ولكن لا بأس أيضا أن تتعرض البنت لظروف مثل ظروف تعرضت لها أمها، فتجد البنت نفسها سائرة فى الطريق الذى سبقتها فيه أمها. ولكن الموقف مع بهيرة ابنة شهيرة مختلف كل الاختلاف. وإن كانت النتائج متشابهة كل التشابه.

فشهيرة خانت زوجها، لأن زوجها كان يدعو الناس إلى احتقاره بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. فلم يكن غريبا إن أن تبحث شهيرة عن أحضان تحترمها فحانت.

أما بهيرة فزوجها يفرض احترامه على الناس بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. أو هو فى الواقع يصطنع الوسائل غير المشروعة فى فرض هذا الاحترام. ذلك أنه يطالب بالاحترام بالتكبر لا بالكبرياء، وبالتظاهر لا بالحقيقة. فهو أجوف بلا علم، ومن أين العلم، وبلا تجربة ومن أين التجربة. وقد وجد نفسه فى بواكير الحياة من كبار بكوات المجتمع المصرى بغير ثقافة أو علم أو تجربة فى الحياة. وكانت البكوية التى صبتها عليه أمه بقوة المال وجبروته لا تتيح له أن يخالط أبناء جيله، ويحيا الحياة الطبيعية التى تجعل الانسان حين يكبر انسانا طبيعيا شأنه شأن الآخرين له تجاربهم، وله أيضا أخطاؤهم.

اعتزل يحيى الحياة قابعا بين جدران بكويته الباكرة وتكبره الكاذب فأصبح فراغا. ولهذا لم يكن عجيبا أن يقتنع بالاحترام الزائف من ظاهر الناس، وإن خالطه الاحترار، بل وإن خالطته السخرية فى أعماقهم.

وبهذا التكبر وبهذا الارغام على الاحترام الموهوم عامل يحيى الحياة، وعامل أقرب الناس إليه زوجته بهيرة وابنيه باسل وشهاب.

وهكذا راح ثلاثتهم يبدون له الاحترام غاية الاحترام، ويكنون له الاحترار غاية الاحترار.

أما الزوجة فهى تحتقره للتكبر السخيف الذى يلزمه. فهو دائما



□ نفوس من ذهب وفضة

منفوخ الصدر يتكلم وكأنما كلامه وحى من السماء، ويخاطبها وكأنما يتنازل كل التنازل أن يمتد بينهما حديث.

وكم كان سهلا على بهيرة أن تبدى له الاحترام، وتشبع الغرور العجيب الذى ركب فيه، ثم هى بعد ذلك تصنع ما تشاء لتشعر أنها تنتقم من غروره، وأنها قادرة دائما على تحطيم كبريائه ولو فى نفسها. والحب لا يستطيع أن يماشى الاحتقار مطلقا. وهكذا أصبح من المستحيل أن تحب بهيرة زوجها. وإذا انعدم الحب من البيت فكل شيء غير شريف معقول وطبيعى.

أما أبناء فهم لم ينتبها إلى احتقار كبريائه إلا حين تقدمت بهما السن، عرفا آباء آخرين لأصدقائهما. وبالمقارنة تبين لهما أن أمر أبيهما عجيب.

لقد وجدا الآباء الآخرين يحبون أبناء هم، ويبدون هذا الحب فى أمور شتى. قد يبدو منهما الحب فى كلمة اشفاق، أو حتى فى كلمة تانيب وإنانية. أو قد يبدو فى منحة مالية، أو قد يبدو فى اهتمام بدراسة أو اشفاق أو مرض. أما أبوهما فلا يبدى لأى منهما أى عاطفة. انهما يحبهما لاشك لكنه بصلفه وتكبره يختزن حبه ويضن به أن يظهر. إنه يستكبر أن يبين منه شيء. لعله كان ينتقم لنفسه أن آباء لم يظهر له حبه منذ بدأ هو يدرك الأشياء. أو لعله كان يظن أن الأجدد بالأب إلا يظهر منه حب. فمادام أبوه قد صنع هذا فهذا إذن هو المثل الأعلى. أما حب أمه له وقفخيمها لشأنه فهذا أمر مفروض، لأنه يرى نفسه فوق البشر، وأمّه لم تزد على أن اعترفت بتفوقه وسموقه، وهو بعد إذا سأل نفسه فيم هذا التفوق أو ذاك السموق، سارعت إليه نفسه بالكثير من توافه الأمور التى تجعله يتأكد أنه صنف فوق البشر، وأنه إنسان يسمو على الانسانية.

وهكذا شب باسل وشهاب فى منزل قاتم، الأم فيه تبدو تابعة للأب



وهى فى حقيقة الأمر الشخصية المتبوعة لا التابعة، لأنها استطاعت فى مهارة أن تجعل زوجها يصنع ما تشاء أن تصنع ببعض كلمات بسيطة من اشباع الغرور. ثم هى بعد ذلك تسحبه خلفها كيفما تريد. ويسير الأمل خلفها وهو يظن نفسه يقودها وينفذ كل ما تشاء، وهو يظن أنها هى التى تنفذ كل ما يشاء، والابن يكرهان ويدركان هذه الحقيقة، فتقلب موازين الحياة عندهما. ويكرهان أباهما لأنهما لم يريا منه شيئا يستحق الحب، ويعجبان من أمهما لأنها جعلت من أبيهما هذا المسخ الشائن وحين توثقت صلة الأب والأم بحامد عبد البديع وجد باسل وشهاب فى حامد شخصية كريمة.

وربما كانت هذه الكراهية لأنه دخل البيت الذى لم يتعود أن يستقيم أحدا. فقد كانت الأم تريد أن تستولى على الزوج، وكان الناس بطبعهم ينفرون من الزوج. وهكذا كان البيت مقفل الأبواب دون الآخرين. لم يكن فى البيت مع الأب والأم سهير أم يحيى لكانت حياة الطفلين فى البيت جحيما. فالأم مشغولة بخططها المشروعة وغير المشروعة، والأب مشغول بغروره، ولا أحد يسكب على الطفلين حنانا إلا سهير. وربما أحست سهير أنها هى التى جعلت ابنها موسوما بهذا الجفاء والغرور، وكانت تعزى نفسها أنها لم تكن تتصور أن يتمنى فيه الغرور إلى هذا الحد، ولكن تلك هى مصيبة المشاعر فى نفوس الناس.. فإنها قبيحة كانت أو حميدة لا تعرف أين ينبغى لها أن تقف. وهكذا تصبح المشاعر القبيحة بالغة القبح، وتقلب المشاعر الحميدة إلى شئ يدعو إلى الضجر أحيانا، أو السخف أو اللالة فتقلب فى أحيان كثيرة إلى شئ كرهه هى الأخرى.

وحين ماتت سهير كان الطفلان يشبان إلى بواكير المراهقة. وانقطع عنهما ذلك اللبيل من الحنان فى وقت كانا فى أشد الحاجة إليه. وحينئذ دخل إلى حياتهما حامد. وأحسا نحوه بذلك المقت وإن لم

□ نفوس من ذهب ونحاس

يدريا لذلك سببا. وأغلب الأمر أن السبب كان فى داخلهما، ولكن حامد استطاع فى مهارة فائقة أن يقترب منهما. وقد كانت السبل مهيأة له من قريب.

لقد عرف كيف يعاملهما كرجلين، وراح يصحبهما معه إلى مزارع أبييهما كلما ذهب لعمل فى مزارع أبييهما أو فى مزرعته هو بعد أن أصبح مالكا لعشرين فدانا هناك.

وعرف أيضا كيف يكون واسطة لهما عند أبييهما، فاشترى كل منهما سيارة وهو يدخل إلى الجامعة.

وأصبح حامد قريبا كل القرب إلى قلب باسل وشهاب، ولم يكن ذلك غريبا فقد كان هو الانسان الوحيد الذى يدخل البيت دخول الأقارب. وقد استطاعت معاملة حامد هذه أن تفتح عين الأم على تلك الهوة التى تفصل بين الولدين وأبييهما، بل انها فتحت عينيها المروعتين على تلك الهوة هى وبين ولديها.

وهكذا راحت تتقرب إليهما، وتعمل على اسعادهما بكل ما تملك من قوة، ولكنها حرصت كل الحرص أن تكون مصادر هذه السعادة بعيدة عن الأب. فهى لم تكن تريد للولدين أن يحبا أباهما. فهى حريصة أن يدرك الأب أن أحدا لا يحبه فى هذا الوجود إلا هى.

وكان الوالدان يحسان بحنوها، ويحسان أيضا بهذا الحنو ينقلب إلى قساوة طاحنة كلما اقترب واحد منهما إلى ساحة الأب.

* * *

كان الوقت شتاء. وكان شهاب فى حجرته الخاصة يشاهد التلفزيون الذى أحضرته له أمه فى عيد ميلاده، ولم يكن معه باسل. ولم يكن ذلك عن جفاء، فقد كانت العلاقة بين الأخوين صداقة صحيحة فرضتها عليهما طبيعة الحياة فى بيت أبييهما أو قصر أبييهما إذا شئت. ولكن باسل كان قد اختار أن يتجه إلى الهندسة حين اختار شهاب أن يتجه



□ نفوس مر ذہب و نیلام



□ نفوس من ذهب ونحاس

إلى الحقوق، فإن الصداقة بينهما لم تستطع أن توحد طريقهما فى الحياة.

وكان لكل منهما حجرته فى البيت، وكانت هذه الحجرة مجهزة بكل ما تصبو إليه نفس شاب. فلكل مكتبته الخاصة، ولكل جهازه الخاص للتليفزيون، وجهازه الخاص للراديو. فلم يكن غريبا أن يفترق الاخوان فى الساعات الأولى من الليل ليصنع كل منهما فى حجرته ما يحلوه. كان التليفزيون فى تلك الليلة يعرض فيلما أجنبيا، وكان شهاب مستغرقا فى مشاهدته بعيدا عن واقع الحياة كل البعد.

وانتهى الفيلم، وانتهى الارسال أيضا، فقام شهاب إلى الباب ونظر إلى غرفة أخيه فوجد أنوارها مطفأة. فقد كان يحس أن النوم بعيد عنه. خاب أمله فى السمر مع أخيه، وأقفل الباب وعاد إلى مكتبته فوجد كتابا كان قد اشتراه ولم يفتحه وراح ينظر فى صفحاته. افكر الماركسى والاسلامى. وكان عنوان الكتاب هو الذى اغراه بالشراء، فقد كان يحس كائنا جيله أن النفاق من حوله يمكن أن يقلب جميع القيم والموازين، ولم يستبعد أن يجد منافقا يزعم أن الاسلام يبارك الماركسية، وكان هذا النفاق هو الحديث الذى لا تنقطع مصادره كلما اجتمع شباب. وأعتقد شهاب أن هذا الكتاب سيمده بمادة لا تنفد عن سيطرة النفاق المطلقة على الحياة المصرية، بل على الدين أيضا.

أعاد الكتاب إلى المكتبة، فقد كان فى نشوة لا تقبل أن تواجه هذا الانحطاط. بحسب الانسان المصرى أن يواجه النفاق فى الصحف وفى الحياة. لأن الانسان لابد له أن يقرأ الصحف، وأن يعيش الحياة. فإذا خلا إلى نفسه، وأحس بنوع من النشوة فينبغى له أن يحاول نسيان الصحف والحياة العامة وما يسودهما من نفاق، وإلا أصبح شخصا مولعا بتعذيب ذاته دون مبرر.

بحث عن رواية لكاتب يحترمه ووجدها ووجد فيها ما تصبو إليه نفسه

□ نفوس من ذهب وفضة

من انطلاق. واستلقى على السرير وبدأ يقرأ.. لم ترق له بداية الرواية. أقفلها وأطفأ نور السرير، وترك نفسه ترود ما يحلو لها من وديان الخيال أو الحقيقة، أو هما معا متمازجان تتمازج المعالم منهما متناغمة أو متنافرة، وهو ملق نفسه إلى الدفاع لا يكبح جماح الخيال، ولا يهتم بحقائق الواقع. ولم يكن يدري أطلال به الوقت أم لم يطل حتى سمع همسا وخطوات.. وعجب. فإن لكل حجرة من حجرات القصر حمامها الخاص، وليس هناك ما يدعو إلى صوت في الليل أبدا.

قام إلى الباب وفتحه في غير حذر، وفي اللحظة نفسها سمع صوت باب يقفل ثم رأى شخصا ينزل السلم المفروش بالبساط السميك، وعلى ضوء القمر الذي ينفذ كسهم القدر من شبك السلم رأى وجه حامد، هم أن يلحق به، ولكن قدميه تسمرتا، وحين استطاع أن يجرهما كان حامد قد خرج من الباب الرئيسي. ذهب إلى حجرة أبيه وفتح الباب ولم يفكر. - بابا.

وقام الأب مفزوعا.. هذه هي المرة الأولى في حياته التي يتجرا فيها أحد أن يفتح عليه الباب دون إذن سابق.

- من.. ماذا.. من؟

- هل أنت نائم؟

- هذا هو الطبيعي في ساعة مثل هذه؟

- فماذا كان حامد يفعل هنا؟

- من؟

- حامدا!

- حامد من؟

- حامد الذي لا يدخل بيتنا غيره.

- أجننت؟

- يا ليتني جنت!

□ نفوس من ذهب ونحاس

وجاءت الأم:

- ماذا؟

- اسمعى ما يقول ابنك.

- حامد نزل الآن من هنا،

- من؟!

- كنت أظنه يعمل مع أبى أو أنا على الأقل. تمنيت أن أجده يعمل مع

أبى، ولكن أبى نائم.

أى امرأة غير بهيرة كان يمكن أن تتهار، ولكن بهيرة شىء آخر.. من المؤكد أنها طبيعة أخرى غير طبيعة البشر.

- اسم الله عليك يا شهاب! مالك يا ابنى؟

وراحت تجس جيبته.

- أه قل هذا.

- ماذا؟

- الولد نار.. ضع يدك يا يحيى.

ووضع يحيى يده. والعجيب العجيب أنه قال:

- فعلا.. فعلا عنده حمى.

- تعال يا شهاب استند على.

وفغر شهاب فمه ولم يستند على أمه، وإنما استندت هى عليه

وسحبته، ولكن من ينظر إليهما يظن إليه أنه هو الذى يسحبها، وذهبت

به إلى حجرته، وقبل أن تدخلها سمعت باب حجرة زوجها وهو يقفل

عليه، ودخلت مع شهاب إلى حجرته وأغلقت الباب وأرادت أن تلقى به

إلى الفراش ولكنه كان قد أفاق من ذهوله.

- ماما! ماذا تفعلين؟

- تنام وتستريح وحبّة اسبرين تصبح بكرة فى أحسن صحة.

- ماما! كيف استطعت أن تقنعيه اتنى محموم؟



□ نفوشر من ذهب وفضة

- لأنك محموم فعلا.
- ماما!!!
- انتظر قليلا حتى أحضر لك الاسبرين وبعض الثلج.
- أخرجى من هنا.
- ماذا تقول؟
- أخرجى حالا قبل أن أعمل ما أريد أن أعمله..
- شهاب.
- أخرجى..
- وأمام نظراته القاتلة خرجت بهيرة.

* * *

مسكين يحيى.. لم يكن ما قاله ابنه جديدا عليه.. كان يعرفه.. وفكر كثيرا.. كيف يمكن أن يعالج الموقف.. أ يطلقها فتصبح الحقيقة مدموغة بورقة الطلاق الرسمية.. وهل تحتل كبريائه هذا.. أ يكلمها.. وتعرف أنه يعرف.. سكت واحتمل وكان كل أمله ألا يعرف أحد آخر.

واليوم عرف شهاب.. ماذا سيفعل شهاب؟

استطاع هذا السؤال البسيط أن يبقى يحيى مؤرقا حتى الصباح.

* * *

لم يقل شهاب شيئا لأبيه، ولكن العبد كان أكبر من أن يحتمله وحده.

قال لأخيه.. وارتمى الأخوان في دوامة قاتلة من الخزي والشعور بالمهانة.

- أبلغ تأثيرهما عليه إلى هذا الحد؟
- اسمع! إن أبى يعرف.
- ماذا تقول؟
- لا يمكن. لابد أنه يعرف.
- على كل حال ان لم يكن عارفا فقد عرفته أنا، ورقض أن يعرف.

□ نفوسهم من ذهب ونعالهم

- شهاب! ماذا ستفعل؟
- لا نعرف.
- كيف سنتنظر إلى أم عاهر، وأب ديوث، وصديق خائن؟
- نحن الآن لا نستطيع أن نفكر.
- لا بد أن نفكر.. ماذا ستفعل؟
- نطلب منهما أن نعيش في بيت وحدنا.
- ربما يرفضان.
- لا نتكلم عنهما.. تكلم عنها وحدها. انها تفعل ما تريد.. هو لا شئ.
- بكل صمته المهيب وبكل عظمته المتجهمه هو لا شئ.
- إذن سترفض.
- لا تستطيع أن ترفض لنا شيئا الآن.
- لماذا؟
- بعد الذي رأيته.
- انها متأكدة انك لن تقول لأحد.
- فعلا. ولكن لماذا ترفض؟
- بماذا تبرر خروجنا من القصر؟
- إذن لا يدخل حامد هذا بيتنا.
- ولا هذا.. الظاهر أنك لا تعرف قيمة حامد.. انه صديق الحكام اليوم.
- وهو الذي يحمى بيتنا أن يؤخذ، وحمى أبى أن توضع عليه الحراسة.
- حراسة.. أيقبل هذا الوضع خوفا من الحراسة؟
- لا تبالغ في ظلمه. ربما قبله حتى لا يعرفه أحد.
- اسمع! لا بد أن نجد حلا.. لن نستطيع العيش في هذا البيت، بل لن نستطيع العيش في مصر كلها.
- وجدتها.
- ماذا؟



□ نفوثة من ذهب و نكاح

- نساقر إلى الخارج.
- نهرب؟!
- نهرب.
- ولكن الحقيقة التي نعرفها أن نتركها هنا؟!
- هناك دنيا أخرى.
- ولكنها لن تستطيع أن تبطل الحقيقة التي نعرفها.
- على كل حال هذا خير من أن نرى هؤلاء الناس.
- أى شىء خير من أن نرى هؤلاء الناس!
- إلى أين نساقر؟
- إلى فرنسا.
- ولماذا فرنسا؟ نساقر إلى انجلترا.
- أولا لأننا نتقن الفرنسية.
- وهذا سبب يجعلنا نساقر إلى انجلترا، حتى نتقن الانجليزية أيضا.
- الحقوق دراستها فى فرنسا، والهندسة أيضا. أما فى انجلترا فستكون دراسة الهندسة فقط هى الممكنة. فالقانون الانجليزى بعيد كل البعد عن القانون المصرى.
- لولا الظروف التى نمر بها، لكنك تركتك نساقر إلى فرنسا، وسافرت أنا إلى انجلترا، أما الآن فلا بد أن نكون معا دائما.
- ومساءلة اللغة بسيطة يمكن أن نقضى الاجازة الصيفية كلها فى انجلترا لدراسة اللغة.
- فكرة.
- وساقر الاخوان وتركنا القصر العظيم يضم بين أحنائه تكبره وخسته وجراحه وخيائته. ولم يقدر.. وكيف لهما أن يقدر أن القلب المتكبر الكسير لذلك الرجل الذى استطاع أن يكرها انصدع حطامه بسفرهما صدعا الموت أهون منه، ولكن طول التكبر منه عودة تلبس الكبرياء فانحنى على صدوع قلبه الذى أمسى شظايا.. وصمت.





لا يستطيع أحد أن يقدر أثر الرواية المقروءة المعروضة على مسرح أو شاشة السينما أو التلفزيون أو المذاعة التقدير الصحيح. فإن هذه الروايات أفسدت حياة الناس ونغصت عليهم عيشتهم تنغيصا فريدا حتى لا يجرؤ شيء آخر أن يسابقها في هذا المضمار. فقد ظلت هذه الأعمال التي تطلق عليها أعمالا فنية ترسم البيت السعيد رسما غاية في السذاجة والعبث. فالزوجة تطعم زوجها بيدها، وتأتى له بالحذاء وتتولى شئون ملبسه، وتحاول دائما أن تضحك معه، ولا تطلعه على شيء يكدرها أبدا حتى لا يمتد الكدر إليه، وهي طبعاً تطيع أوامرهم مهما تكن هذه الأوامر سخيفة. وتحرص هذه الأعمال الفنية أن تجعل حياة الزوجين جميعها على هذه الوتيرة الواحدة التي يتخيلها الكتاب السذج سعادة لا تدانيها سعادة، وهناءة لا تماثلها هناءة. وأغلب الأمر أن هؤلاء الكتاب يلقون من زوجاتهم عنقا ورهقا يجعلهم يهربون من واقع حياتهم النكد إلى دنيا يخلقونها بأحلامهم وأخيلتهم. وهكذا ليس بدعا أن تصبح دنياهم تلك التي يصطنعونها دنيا مهبولة تفيض سخافة وعبثا.

ولو وقف الأمر عند هذا لأصبح مقبولا. وأى ضير أن يهرب كاتب أو

أى شخص من واقع مرير إلى حلم وهم سعيد، مادام بهذا يقرعينا ويسعد.

ولكن الكارثة الكبرى أن المنتجين والمخرجين يأخذون الأمر مأخذ الجد، ويعرضون هذه الأعمال على الناس.

وهكذا تقولب الحب فى حياتنا فى هذا القلب المضحك، فالزوجة التى لا تطعم زوجها بيدها، ولا تطيع كل سخافات، ولا تأتى له بالحداء أو النعل، ولا تطبخ له كل ما تهفو إليه نفسه، تصبح عند الأزواج الذين شاهدوا هذه الأعمال أو قرأوها امرأة لا تعاشر. وهى فى عرفهم تكرههم ولا تحبهم. ومن الزوجات من صدقت هذه الصورة وحاولت أن تنفذها فى أيام زواجها الأولى. ولكن قليلا تنقلب حياة الزوج إلى جحيم، وليس هذا منه بعجيب. فقد رسمت له الأعمال التى رآها الجنة بهذه المعالم المضحكة. فحين يصطدم بغيرها يصبح من الطبيعي أن يرى حياته جحيمًا. فنقص أى معلم من معالم هذه الجنة الفنية هو عنده جحيم. وويل للزوجين إذا كانا تحابا قبل الزواج. فإن كلا منهما سيتوقع من الآخر أن يقتل نفسه وهو سعيد ليقدم لحيته كل ما يمكن أن يخطر ببال هذا الحب. حتى إذا تم الزواج، وعاد كل من الزوجين إلى طبيعة البشر، انكشفت الحقيقة الرهيبة، أن الرجل إنسان بشر، وأن المرأة إنسانة بشر، وتضطرع الحياة على أنغام تغير الحروب بعد أن كانت ساجية بين المحبين على أنغام موسيقى الملائكة.

وفى أتون هذه الأوهام تحطم كثير من حب كان صادقا، ولكنه كان مجنونا ودمرت زيجات كان يمكن أن يفوح منها عبير يانع عن أيام مخضلة بندى الحنان والمودة، ولكنها جهلت الواقع ولم تستطع الأيام أن تنقلب عندها إلى أحلام وأوهام ورؤى.

ولكن أسامة كان محصنا ضد الأوهام، فلو أن الحياة سارت بأبيه رخاء كلها، ولو أنه ترك لأمه وحدها لواجه فى كل متجه من حياته ذلك الحلم الباسم المستبشر الذى ينقلب إلى واقع كشر متجهم ذى أنياب ونصال ومدى.

لقد صاحبت نمو أسامة تلك الأزمة التى تعرض لها أبوه، ووعى أباه

□ نفوس من ذهب وفضة

وهو يركب الموتوسيكل السيدكار، وهو ما يزال يذكر أمه وهي تعتذر عن عدم قبول الدعوات حتى لا تصبح مضطرة أن تردّها بمثلها، ورأى بيته والطعام فيه معدود بقدر الأشخاص بعد أن كان دائما موفورا لا يحصى حجما ولا عددا، حتى لقد كان الخدم يدعون من يشاءون من خدم الجيران. ورأى أمه تمكث السنة بأكملها لا تدخل بيتها خياطة، ورأى أباه لا يفكر في شراء قماش جديد لنفسه سنوات، ولكنه أيضا يذكر أن ملابسه هو دائما كانت تتجدد، فلم تعد على مظهره إشارة من ضيق يد، وأدرك كيف كان أبواه يجنبانه دائما أن يحس بما يمران به. وحسب الجانبان أن ابنهما لم يشعر بشيء، وحنا هو عليهما فلم يشعرهما أنه أحس بشيء.

ومرت بهم هذه الأيام النكدة الماجدة، واستطاع أسامة بضرية حظ أفلس فيها أبوه أن يصبح هو من أغنى الناس نفسا، واستطاع أن يعرف أن الحياة التي تعطى تستطيع أن تمنع، وأن الإنسان إذا لم يعرف من الحياة حالتها صار فيها هشا هينا جاهلا أو أحمق تصرعه أي ربح من رياح الحياة.

ورياح الرخاء والغنى والدعة والهناء تحمل في طواياها نفس الأخطار التي تحملها رياح الفقر والحاجة والعوز والشقاء.

وإذا كان الإنسان يحتاج أن يكون قويا ليوافق الحياة وهي تطحن وتفترس بمخالب الفقر، فهو محتاج أن يكون أكثر قوة ليوافق الحياة وهي تبطل وتمحو من الإنسان إنسانيته حين تفرش الذهب والماس تحت الأقدام.

استطاعت هذه الفترة النكدة أن تجعل من أسامة إنسانا يعرف تقلبات الحياة، الأمر الذي لم يستطع المسكين يحيى أن يعرفه. فلو كان يحيى قويا في لقاء الغنى لما انهدمت به الحياة، ولما تصدعت جوانب نفسه ولما خلت الحياة عنده من كل معنى للحياة.

في هذه الأيام النكدة التي شهدا قصر راشد باشا كانت أسرة فهمى عبدالحميد من الأسرات النادرة التي تأتي للقصر أغلب أيام الأسبوع. وتوطدت علائق الصداقة بين خديجة وبين نعمات زوجة

فهى.. وفى فناء القصر لعبت جميلة مع أسامة. كانت تصغره بعام وبعض عام، ولكنه لم يكن رأها قبل أن تصبح أمها صديقة لأمه. لم يكن حبا ذلك الذى نما بينهما، وإنما كان ألفة وكان يأنس إليها، وكان يخیل له أنها تأنس إليه. ولم يكن يدرى يومذاك شيئا عن الصلات التى تجمع بين أبيها وأبيه. وما كان يستطيع أن يعى هذه الصلات ولا أن يفهمها.. وكيف لمثل من كان فى سنه أن يفهم هذه الحرب وهذا العداء، ثم هذا الحب وذلك الايثار، وكيف يستطيع أن يعى فى براءة الإنسان يسفل إلى هذه الخسة، ثم يعلو هو نفسه إلى هذه السموه. لم يكن يدرى شيئا وإنما كان يأنس إلى جميلة وكان يألفها. وكان يحب أن تأتى ويحب أن يلعب معها طفلين، ثم أصبح يحب أن يحكى ما يجرى له فى المدرسة، ثم أصبح يحب حين باكرته الرجولة، ونهدت هى إلى الأنوثة أن يحادثها عن كل شىء ويستمتع منها عن كل شىء.. وكانت تحس أن ما يقوله لها لا يقوله لسواها، وكانت تعرف أن ما تقوله هى له لا تقوله لسواها على براءة ما يقول وما تقول.

وحين تزوجا كانت بينهما هذه الألفة الحنون التى تكون بين الزوجين، ولم تكن الناحية المالية تشكل لهما أى عقبة، فقد استعاد راشد ثروته وكتبها جميعا باسم أسامة، ولو أن هذا لم يكن يعنى شيئا بالنسبة لأسامة فى حياة أبيه، فقد كان راشد هو الذى يتصرف فى كل دخله.

وقد تزوج أسامة ورشد مازال على قيد الحياة، وكان راشد سعيدا بهذه الزوجة أشد السعادة كما سعدت بها أيضا خديجة. وحين استقر الزوجان الصغيران بالمنزل تنازلت خديجة عن سيادة البيت، وجعلت لجميلة اليد الطولى والوحيدة فى إدارة البيت، وحلا لها أن تأخذ المكان الذى أخذته منها هانم أفندى حين تزوجت هى راشد، وسعدت خديجة بمكانها هذا الجديد، وقد استطاعت جميلة فى نكاه أن تجعل خديجة دائما فى مكانة عليا وأمرها مقدسة وراحتها موفورة قبل أن تتوفر لزوجها أوحى لحميها.

وحين مات راشد كان أسامة قد عمل فى الحمامة، ووجد نفسه فى مهنته، فاستطاع أن يكون حكيما فى تصرفاته المالية يعيش عيشة

□ نفوثر من ذهب ونحاس

كريمة، ولكنها بعيدة عن السفة.

وكان من الطبيعى أن تختلف جميلة وأسامة فى أيام زواجهما الأولى، ولم يكن أسامة يدهش أن يجد أباه وأمه يقفان إلى جانب زوجته حتى وإن لم تكن محقة. فقد وجدا عندما طاعة الأبناء وحبهم.. هذه الطاعة وذلك الحب الذى يصبح موضع اكبار إن جاء من غير الأبناء:

وحين مات راشد ظلت جميلة التى أصبحت ست البيت فعلا لا تفضلا أكثر عناية بحمايتها وأكثر رعاية لها وحدا عليها.

وحين تقابعت قوانين الإصلاح الزراعى ابتلعت الغالبية العظمى من ثروة فهمى عبدالحميد، فلما مات كان ما تركه من مال يكاد لا يقوم بشأن أولاده، فكان أسامة يعوضهم عما أصابهم كلما سنحت فرصة لا تجرح كرامتهم، وأصبح يحدث زوجته أن تعطى أخويها كل ما يحتاجان إليه حتى لا يحسا بعنت الحياة، إلا أن الأخوين وجدا أن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا المتوال، فكتب كل منهما توكيلا لأسامة ليدير ما بقى من أرضهما، واتجه الأكبر جميل إلى الكويت، واتجه الأصغر صبحى إلى السعودية. ومرت الحياة بالزوجين أسامة وجميلة طيبة لا يشويها إلا ما يشوب البيوت السعيدة من خلافات يحوها الحب، أو شجار يعصف به الحنان.

وأنجبا راشد وفهمى، وراحت الحياة تكرر نفسها مع الطفلين ليدرجا فى طريق درج فيه أبواهما من قبل. قد تختلف تفاصيله، ولكن المعالم الأساسية فيه واحدة.

وحين كسدت سوق المحاماة المدنية، وفكر أسامة أن يتجه كما اتجه كثير غيره إلى البلاد العربية، جاءته أمه مرسيلة لتغير متجه حياته جميعا.

فمنذ ذلك اليوم الذى قصدت فيه إلى مكتبه أصبح أسامة من أكبر المحامين فى القضايا السياسية، ولم تكن هذه القضايا وحدها تكفى مكتبه، ولكن زيوع اسمه فيها جعله بعيد الصيت فى القضايا الجنائية، وانتعش المكتب، واستقر أسامة، وأصبحت الحياة أمامه هائلة سعيدة، ومن أسعد من رجل بارع فى عمله يعترف الجميع ببراعته.



وهل هناك اعتراف أعظم من تلك الدعوة التي جاءت إليه عن طريق ضابط دخل إلى مكتبه بغير إذن ليقول له فى محاولة فجأة للتلف:

- سيادتك مطلوب.

- أنا؟

- نعم.

- من الذى يطلبنى؟

- ستعرف حين تذهب.

- اذهب.

- سأذهب معك.

- إلى أين؟

- ستعرف.

- لماذا؟

- ستعرف ذلك أيضا.

- أهو قبض؟

- لا. المسألة لن تصل لهذا.

- لقد وصلت فعلا؟

- إنها مجرد دعوة.

- هل تستطيع الاعتذار؟

- طبعاً لا.

- فهى أمر بالقبض وليس دعوة.

- سيادتك تستطيع أن تسميها كما تشاء.

- ألا أخبر البيت؟

- لا داعى.

- مجرد مشورة. أم هو أمر ألا أتصل؟

- لا داعى والسلام.

- ومن أين يأتى السلام؟

- تفضل.

- حاضر.

□ نفوثر من ذهب و نكاح



حين وقعت هزيمة يونيو كان باسل وشهاب فى باريس، وشاهدا
القضية العالمية على شاشات التليفزيون، وراح كل منهما ينظر إلى
الآخر تحجب صورة كل منهما عن الآخر دموع غزار لا تريد أن
تنضب. ولم يكن عجيبا أن يفكر كل منهما أنهما كأنما يواجهان حادثة
أمرهما مرة أخرى، ولكنهما فى هذه المرة أحسا أن العالم أجمع يعرف
السر الذى ينطويان عليه، بل أحسا أن التاريخ أيضا أصبح يعرف
هذا السر الذى لم يصبح سرا.

لم تصبح علاقة أمرهما الأثمة حادثة يخفيها جدار بيت، وإنما
أصبحت مثار اهتمام العالم أجمع.. التليفزيون والسينما والاذاعة
والصحف فى العالم لا حديث لها إلا عن أمرهما.. وتتكرر النصال
على النصال.

لقد كانا يغفران للحكم المصرى كل ما يسمعانه من قهر الأدمية،
وقتل الأبرياء، وخلق الكلمات، ومحق الرأى، وهدم الانسان فى سبيل

أن يكون هناك جيش قوى يواجه العدو.
ثم وفى ساعات تصبح مصر والعروبة جميعا أهزوء التاريخ على
يد الجيش المصرى!
قلباننا عليك يا مصر.. عرفا أن أمهما أصيبت بالسرطان، وأنها
تنتظر الموت فى أية لحظة.
- نذهب.

- أتريد أن نذهب؟
- أمام الناس.
- وأمام نفسينا كيف سنراها!
- وأبى.
- هل نستطيع أن نصنع له شيئا؟
- الكثير.
- سيتجهم.
- ولكن قلبه سيفرح حين يرانا.
- هل رأيت قلبه؟
- لا. لم أره.
- كل الأبناء رأوا قلوب آبائهم فى ابتسامة، فى فرحة لقاء، فى اهتمام
بمرض، فى سعادة بنجاح.. هل رأيت قلب أبيك؟
- ولكن له قلبا.
- كيف نعرف؟
- لقد ستر على أمنا.
- يخشى على كبريائه.

- كان يستطيع أن يطلقها ولا يبدي الأسباب.
- لقد تعود أن تكون بجانبه.
- وهى اغيره؟
- إنه مشغول دائما بنفسه.
- لعله خاف أن يذكرنا أحد بسوء.
- تحاول أن تجعل لنا أهمية عنده.
- إننا جزء منه.
- فى شهادة الميلاد فقط.
- إنه يخفى مشاعره.
- كان يستطيع أن يجعل مشاعره تخونه مرة واحدة مادام استطاع أن يجعل زوجته تخونه دائما.
- إننا لا نستطيع أن نعرف ما بداخله.
- مادمت لم أر له ظاهرا كيف أعرف داخله؟
- هو الآن جازع.
- مرض زوجته قاتل.
- مصر كلها تعاني مرض مصر ومرض زوجته!!
- أتريد أن تسافر؟
- لا أعرف!
- فكر.
- أريد أن أرى أمى، وأريد أن أرى مصر، ولا أريد أن أرى أمى ولا أريد أن أرى مصر.
- لم يبق لنا إلا نفسانا.
- أخشى أن نقتل أبانا بما نفعله.



□ نفوس من ذهب و نبال

-وأنا أخشى أن نقتله إذا رأنا ونحن على هذه الحال.

-لا نذهب إذن.

-لعلنا نكون أشفق عليه لو لم نذهب.

-ومصر.

-ستكون أشفق بنفسينا إذا لم نذهب .

-لعل مصر تحتاج إلينا .

-إنما تحتاج للمنافقين والدجالين والهتافين والهازلين.

-لعلها الآن تحتاج للجادين.

-لو كانت، ما سمت الهزيمة نكسة وكأنها انقلوبز!

-إذن.

-نبقى..فما بقي لنا إلا أنفسنا.

-معك حق..نبقى..فما بقي لنا إلا أنفسنا.



استطاع وجدى أن يغرى زوجته بالاكثار من الحفلات يدعولها كل صاحب سلطة.. وهذه الحفلات لا تكلف الماكل والمشرب فقط وما هو بقليل. وإنما تكلف معها ملابس لكل حفل، وقد استطاعت ناهد فى غمرة هذه الحفلات أن تبيع املاكها جميعا، وراحت تشتري بأثمانها مجوهرات لا يعرف زوجها عنها شيئا، ودبرت ناهد أمرها أحسن تدبير، وراحت تفحص الأشخاص الذين تعرفت بهم فى حفلاتها واختارت أخطرهم شأنًا، وساعدها الحظ فكان أيضا أشدهم غباء، فألقت عليه شباكا قناصة لا تفلت صيدا.

وكان من الطبيعى أن يظن نفسه ساحر نساء، وهادم قلاع، وفاتح حصون. وما كان ذا فكر ليمعن به النظر، وليتبين أن الذى يتوهم أنه سحرها إنما هى التى سحرتة، وأن القلاع التى هدمها كانت بلا جدران إلا بابا على الصحراء، فهى مفتحة من جميع جوانبها، ومن ثم فلا حصون هناك لتفتح.

أغرته ناهد، وقبل الاغراء، وأعدلها. وما كان أيسر هذا بالنسبة إليه. شقة كانا يلتقيان بها.. وما هى إلا لقاءات قليلة حتى واجهته ناهد:

- لا يمكن أن يستمر الحال هكذا.

لماذا؟

□ نفوشر من ذهب و فدا

- اتحسب أن أمرنا لن يعرف؟
- لا يمكن أن عرف.
- إذن اطمئن.. لقد عرف فعلا.
- كيف؟
- أنت فى نومة!!
- أنت التى تتوهمين أشياء لازل لها من الحقيقة.
- يا حبيبى فكر.. أنت شخصية مهمة جدا.. كيف يمكن أن تكون تنقلاتك مطلقة هكذا من غير عيون حواليك؟
- ماذا؟
- أتشك فى هذا؟
- انتظرى.. انتظرى.. يظهر أنك على حق.
- كيف؟
- بالأمس.. نعم لك حق.. فعلا.
- ماذا حدث بالأمس؟
- قال لى كلاما مبهما فيه هذا المعنى.
- مثل ماذا؟
- مثل ماذا.. مثل.. كل واحد منكم حر.. وأنا عارف أن كثيرين منكم لهم ليلى يهيم بها.
- أرايت؟ ولكن ماذا يعنى بليلى؟
- لعله يقصد ليلى المجنون.
- أو غيرها.
- سألته أحدها أى ليلى تقصد؟
- قال.. لك حق..
- ماذا قال؟
- قال ليلى.. ناهد.. أو جواهر.. لا يهيم.
- أرايت؟

□ نفوثر من ذهب ونحاس

- فعلا.

- إذن ماذا تريد؟

- مادمنافى مصر لا أمان لنا.

- وماذا تريد؟

- أسافر.

- إلى أين؟

- إلى الخارج.

- وأنا.

- أنت ستجد أن الاتصال بى فى الخارج أسهل من الاتصال بى هنا. الطيارات كلها تحت أمرك.. أقيم فى فرنسا أو سويسرا أو إنجلترا.. وكل شهر تأخذ أسبوعا أو أكثر وأقل إجازة وتكون على حريتنا.

- متى تستطيعين السفر؟

- الآن إذا استطعت أنت.

- ووجدى؟

- أتركه لى.

* * *

- سأسافر.

- مع السلامة.

- إلى الأبد.

- ماذا؟

- وهل تعتقد أننى أصرف هذه المبالغ لأبقى فى مصر؟

- وأنا؟

- أنت حر.

- أنا مستقبلى فى مصر.

- مع من؟

- مع هؤلاء الذين نعرفهم.

□ نفوس من ذهب و نكاح

- أنت مستقبلك الحقيقى فى بيع رجولتك.
- ماذا تقولين؟
- لا تدعى الدهشة.. أنا عارفك وأنت تعرف اننى عارفك.
- واقضى.
- الستات اللواتى يشتريين رجولتك تركن مصر.
- بعضهن مازال هنا.
- هؤلاء لا يدفعن ما يكفيك.
- مع وظيفتى فى الاتحاد الاشتراكى.
- والمخابرات.
- وتعرفين هذا أيضا؟
- أنت لا يكفيك هذا جميعه.
- إذن.
- سافر.
- وأرضى هنا.
- وماذا سيجرى لها؟ ستبقى وستظل تدخريها وتنفق من ريع أعمالك.
- أسافر معك.
- لا.. فى الخارج لا يمكن.
- لا يمكن ماذا؟
- كنت هنا اشتريتك لتكون ستارا أما فى الخارج. فأننا لا احتاج لهذا الستار.
- والنقود فى الخارج لها قيمة أخرى.. إنها فى الخارج عملة صعبة.
- ماذا تعنين؟
- العقد بيننا انتهى.
- ولكنك لا تستطيعين السفر من غير إذن.
- وجدى؟! هل أنت جاد؟
- طبعاً لا.
- إذن.

□ نفوس من ذهب ونخاله

- تكلمين الذى سهل لك السفر يرفع درجتى.
- فى المخابرات أم فى الإتحاد الاشتراكي؟
- المخابرات أهم.
- لا مانع.. العشرة على كل حال لا تهوون.
- تظاهرى اننى لن أوافق على السفر.
- تقصد الطلاق.
- كله واحد...
- هناك فرق.
- لم يختلف قولى إننى لن أوافق على الطلاق إلا إذا أَرْضَانِي هو وضحك على بترقية.

- أظن أننى احتاج لدروسك.
- أسف.. نسيت نفسى.
- فعلا.

وسافرت ناهد، وحمل حقيبة المجوهرات صديقتها ذو السلطان، وسلمها لها فى الطائرة.. وكانت التذكرة إلى لندن.. وكانت هذه التذكرة هى نهاية العلاقة بينهما. فقد قدر لصاحب السلطان أن يفقد سلطانه، فلم يعد يستطيع السفر. والشئ الذى مات دون أن يعرفه هو أنه باليقين والقطع كان لن يجدها فى ذلك العنوان الذى اتفقا على اللقاء فيه بلندن.

لم يكن عجيبا إذن أن يستقبل أسامة عند اعتقاله وجدى جالسا على مكتبه فى مبنى المخابرات العامة.
لما كان أسامة يعرف وجدى، ويعرف قصته جميعا، البادئة بمولده، والمارة بزواجه، والتي لم تنته بعد، لم يجد أسامة أى غرابة فى هذه الابتسامة الفاجرة التى لاتبالي شئ، والتي فى نفس الوقت توضح أى درك من الوضاعة ابتدع صاحبها.
- أهلا أسامة بك.



□ نفوشر من ذهب و نكاح

- أهلا .

- ألا تذكرنى ؟

- آسف !

- أنا وجدى .. وجدى عبد المحسن .. والذى ووالدك كانا صديقين ونحن تقابلنا كثيرا ولكنك تنسى .
- فعلا كثيرا .

- أم تراك تنسى حين تحب أن تنسى ؟

- المؤكد أن طريقة الدعوة أو الاستدعاء التى تفضلت بها على تجعل الإنسان ينسى أشياء كثيرة . حتى التى لا يحب أن ينساها . وهل كثير علينا أن نعطينا بعض وقتك ؟

- يا أستاذ ..

- وأدرك وجدى أنه يصير على تجاهله ، ولكنه لا يعنى كثيرا برأى الآخرين . فهو يكمل فى ابتسامته الفاجرة .

- وجدى .. وجدى يا أخى .

- المؤكد أن هذا ليس هو موضوع الحديث الذى تريدنى فيه .

- طبعا هناك ما أريد أن أكلّمك فيه .

- أنا تحت أمرك .

- أصبحت المحامى الأول فى كل القضايا السياسية يا أسامة بك .

- وهل هذا ممنوع ؟

- المظهر لا يليق .

- ما المظهر الذى لا يليق ؟

- كأنك تأخذ من العهد موقفا مضادا .

- ياسيدى أنا أترافع فى القضايا التى يرى العهد أن يسمح للمحامين بالترافع

فيها ، والقضايا الأخرى لا يترافع فيها أحد . فماذا يضير أن أكون أنا المحامى أم غيرى ؟

- خفف من قبول هذه القضايا .. يكفيك قضايا الجنايات ، وخصوصا قضايا

□ نفوس من ذهب ونحاس

المخدرات.

-كيفينى من أى جهة تقصد.

-القضايا الجنائية، وخاصة قضايا المخدرات أتعابها كثيرة.

-سيادتك شهادتك فى القانون؟

وأوشك وجدى أن يغضب بهذا التجامل الكامل من أسامة. فهو واثق أنه يعرفه كل المعرفة.. ولكنه تماسك.

-فى القانون.. أنا خريج دفعة..

-لا يهم.. المهم أنك خريج حقوق.. أترى أن المحاماة أتعاب فقط.. ألا ترى فيها أى شىء آخر؟

-طبعاً.. طبعاً.. هذا لا شك فيه.. واجبك نحو العدالة ونحو موكلتك.

-الذى تقوله صحيح. ولو خلا من رنة السخرية يصبح هو الحقيقة.

-أنا لا أسخر استغفر الله.

-المهم.. المطلوب منى الآن ألا أقبل قضايا سياسية.

-والله يستحسن.

-أهذا كل شىء؟

-ألف شكر.

-تسمع لى.

-تفضل.

وقام أسامة، وأوصله وجدى إلى باب الغرفة، وصافحه مرة أخرى، وأغلق

الباب، وأخذ أسامة طريقه إلى الباب الخارجى. ولكن ما هى الإخطوات قلائل

حتى يجد نفسه محاطاً بقوة من الشرطة، ثم أغلقت عليه أبواب السجن.

مكث أسامة فى السجن لا يعرف شيئاً عن تهمة، ولا تعرف أسرته عنه شيئاً.

كان الذى رآه أسامة فى السجن بعضاً مما كان يسمعه. لم يقع عليه هو تعذيب

جسمانى، فهو لم يكن يخفى شيئاً يريدونه أن يبيده، ولكنه عومل كما تعامل الكلاب

الجرباء. وكانت هذه المعاملة مع ما يرى الآخرون يجرعونه نوعاً من التدليل

والرفاهية.

انصب عذاب الآخرين على نفس أسامة حتى لقد كان يخيل إليه أنه يعذب عذابهم أجمعين.. ولم يكن يشعر بنسمة فرح إلا حين يموت أحد المسجونين فيحس أسامة أن إنساناً أنقذه الله من براثن الغيلان المتشحة بجلود الأدميين والعجب أن أسامة كان يحس أن الذين يقومون بالتعذيب فى حاجة إلى الشفقة، لأنهم هم أنفسهم ما هم إلا أصابع الحاكم يفترس بها أدمية البشر، وإنسانية الإنسان، ويتمنى الموت للمسجونين جميعاً، ولنفسه قبلهم، ويذكر قول المتنبي:

كفى بك داء أن ترى الموت شاقيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكان يعجب..! يستطيع الحاكم أن ينام..! تستطيع أصابعه هذه أن يهدأ لها ضمير.. وما هى إلا أيام حتى رأى فى وجوه الذين يقومون بالتعذيب علامات لم يكن قد تعرف عليها أول الأمر. وكيف لإنسان أن يرى على وجه وحش قسماات آدمى ويتعرف عليها. علامات لم يشهداها على وجوه بشر قبل اليوم.

لقد تغيرت ملامح البشرية فى وجوههم..! انقلبوا إلى جنس من المخلوقات غريب عن الأجناس التى يعرفها الكون أو يألّفها الناس.. نوع من المخلوقات؟ لا هو إنسان ولا هو حيوان.. ولم يستغرب هذا الذى تبينه. فالإنسان لا يستطيع أن يصب هذا العذاب جميعه على مخلوق آخر، إنسان كان هذا المخلوق، أو كان حيوانا.

والحيوان حين يهاجم الفريسة لا يقدر أنها إنسان أو هى حيوان، وإنما فيها طعامه، وهو يريد أن يأكل أو يرى فيها عدوه. وهو يدافع عن نفسه، فالحيوان المفترس المتوحش طبعى ومعقول فى كل هجوم يقوم به، وعمله جميعه له مبرره ومعقوليته. فما هذا الجنس إذن الذى يعمل فى هذه السجون، وأين يصنعه العهد وكيف ركبته، ومن أى مادة تكون هيكله وضميره. إن المتفرس فى وجوههم يرى مادة جديدة من المخلوقات يشك كثيرا أن تكون يد الرحمن قد مستها..! إنما هم كالحاكم الذى يأمرهم! سرطانات بشرية.. خلايا تفجرت من طين بلا روح.. ومن شر بلا خير، ومن مادة متوحشة عجنها إبليس وخلأ تركيبها من ضمير أو قلب أو شعور.

مر بأسامة شهر وثان، وأوشك الثالث أن يكتمل، فإذا الغطيشب فى السجن، وهمهمات وجمجمة وهمس يفضى إلى همس، ورؤوس تميل فى براعة، وتعتدل فى أسى وجزع.. إنها حرب يونيه.. وفتحت أبواب السجون لا تخرج أحدا وإنما

□ نفوس من ذهب وفضة

لتبتلع آخرين عرف منهم أسامة كثيرين.. ورأهم وهم يجلسونهم القرقصاء فلا تحتمل سيقانهم. فأغلبهم تجاوز الشباب، وأصبح يتوكأ إلى الشيخوخة، وما تحتمل سيقانهم ما يريدونهم عليه، ولكنهم جلسوا القرقصاء، ورقعوا أيديهم فوق رؤوسهم كقروء يديرها عفريت من الجن.

الوجوه غير البشرية، وغير الحيوانية، فيها رعب، وفيها حيرة، وفيها جزع.. إنها تخاف من المسجونين.. المسجونون عزل وبلا سلاح، وهامهم أولاء جالسون القرقصاء، وأيديهم فوق رؤوسهم، والسجانون بيدهم الأسواط، وييدهم أدوات التعذيب الكهربائية والحديدية، وييدهم دائما الأسلحة النارية والمدافع السريعة الطلقات.

ولكن المسلحين بالآلات التعذيب وبلا أسواط وبلا بارود والمدافع يخافون من هؤلاء العزل الجالسين القرقصاء، والواضعين أيديهم فوق رؤوسهم.

أهو موقف الحق الأثم أمام الظلم الخامس.. أم أن الخلايا السرطانية من أعوان السرطان الأعظم قد أصابتها روح من البشرية ألقته إلى نفوسهم أبناء الحرب.. لا أحد يرى!!

مرت أسابيع قلائل بعد الخامس من يونية، وأفرج عن بعض المسجونين وكان أسامة من بينهم.

خرج فوجد أمواله جميعا تحت الحراسة والبقية الباقية من أموال زوجته. بل إن أموال خديجة وضعت تحت الحراسة، وصدر الأمر الخاص بها باسم حرم المرحوم راشد برهان. وليست أدري هل ارتجفت يد المارد الرعدي، وهو يضع تحت الحراسة أموال ميت أصبح في ذمة الله، أم إنها كانت ثابتة متبجحة. أغلب الأمر أنها لم ترتجف. فالرجفة لا تبتعثها إلا بقية من آدمية.. وهيها. ولو عرفوا الحق لتبين لهم أن خديجة لم ترث عن زوجها شيئا، وإنما كان مالها هوما بقى لها عن أبيها، ولكن ما الفرق؟!!

والعجيب ولو أن أي شيء لم يكن عجيبا في ذلك الزمن أن أمر الحراسة يقول حرم المرحوم.. كيف تجرأ مصدر الأمر وخط كلمة توحى بالرحمة ليووقع بها قراة لا يتصل بأي رحمة. إن أغلب مواد القانون تقضى بأن يعاقب المذنب بغرامة قدرها

□ نفوس من ذهب و نكاح

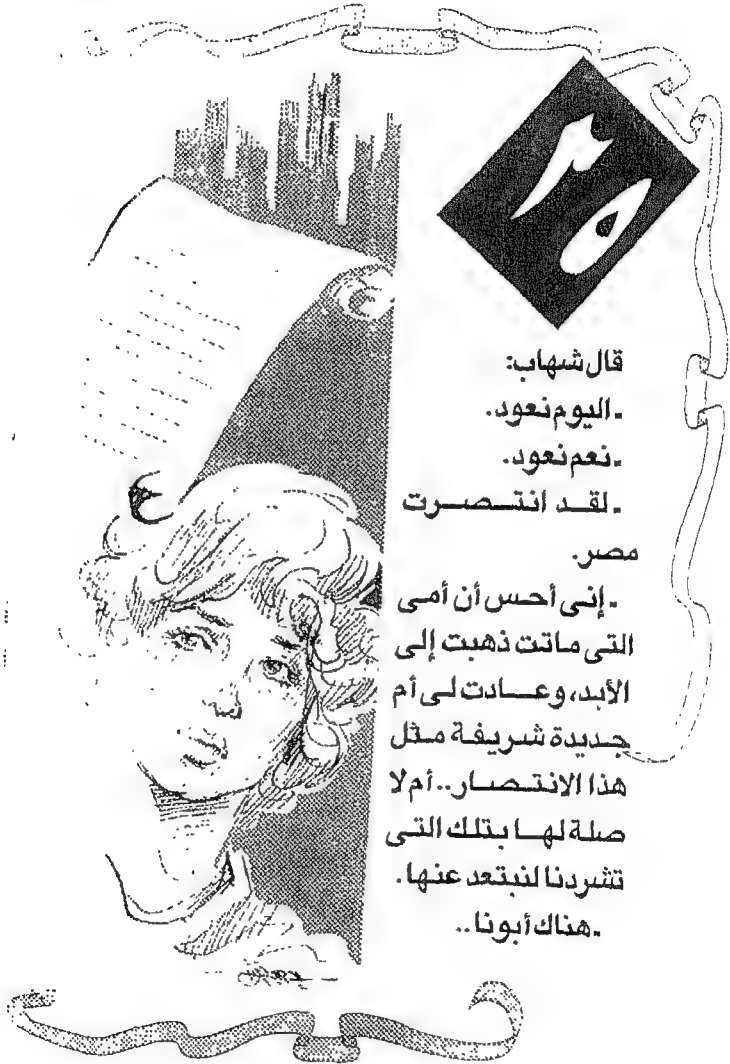
كذا من المال، أو يسجن قدره كذا من الشهور أو السنين.. فالغرامة المالية إذن تستوى عند القانون مع العقاب الجسماني.. وهكذا يصبح الاستيلاء الكامل على مال شخص ما حكما بالاعدام المدني، وبلا محاكمة.

ومن عجب أن يصدروا حكما بالاعدام المدني على شخص مات فعلا.. كيف يريدون أن يقتلوا من مات.. القانون يسمى هذه الجريمة المستحيلة، لأن القتل لا يكون إلا الحياة، ولا سبيل لأحد أن يقتل ميتا.. ولكن مع ذلك العهد لم يكن شيء مستحيلا.

لم يأنه أسامة، وإنما عاد إلى مكتبه، وواصل طريقه في الحياة، وواصلت الحياة طريقها إلى جانبه.. صعبة عنيفة ولكنها شريفة.. وتسير.

حين تفجر الحق في مصر، وحين أعاد الحكم أموال الناس إليهم، وحين انشدهم الظلام عن الصباح، وحين عادت الحياة إلى الحياة، أحس أسامة أنه استطاع أن يجتاز الأزمة الطاحنة.. ربما استطاع أبي أن يركب الموتوسيكل السيدكار، وربما عجزت أنا أن أجد في بعض الفترات دراجة أتنقل عليها.. ولكن أبي استطاع أن يسير فوق الأزمة على موتوسيكل، واستطعت أنا أن أسير عليها بقدمي.

ولم ينكس أبي رأسه للفقر، ولم أنكس أنا رأسي للطغيان.. عجباً ألم يكن هو أنا وأنا أربأ بشرفي أن يدنس ذهب الطغيان أو يذله تعذيبه.. من يدري لعل روحه تلبستني.. أو ربما.. لا أدري.. ربما كنت أنا شجاعا.. من يدري.. من سيدكر لي أنني لم أنحن.. لم أنافق.. لم أنذل.. وماذا يعني أن يذكر ذلك أحد.. يكفي أنني أنا أذكر هذا النفسى.. وحسبى، وفوق الحساب أنني أستطيع أن أواجه نفسي لا أخافها ولا استخذي.



قال شهاب:

..اليوم نعود.

..نعم نعود.

..لقد انتصرت

مصر.

..إنى أحس أن أُمى

التي ماتت ذهبت إلى

الأبد، وعادت لى أم

جديدة شريفة مثل

هذا الانتصار.. أم لا

صلة لها بتلك التي

تشرذنا لنبتعد عنها.

..هناك أبونا..

□ نفوس من ذهب ونبال

- لعلنا نجده قد تغير.

- لا أظن.

- وهل كنت تظن أن مصر ستنتصر؟

- اسمع. لماذا لا نتغير نحن؟

- كيف؟

- إن أبانا لم يشعرنا أنه يحبنا.

- نعم.

- فهل أشعرناه نحن أننا نحبه.

ونظر ياسر إلى أخيه طويلا، وراحت ابتسامة تنداح على شفتيه
لتعلو إلى وجنتيه، ثم إلى جبهته، وخيل إليه وهو ينظر إلى أخيه،
انه كانما ينظر إلى مرآة،OLF الأخوين عبير مصرى له ذلك الأريج
الخاص الذى لا يعرفه إلا من نبت فى أرض مصر، ومن ماء النيل،
ترن فى أذنيه منذ ولادته: الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.

رقم الايداع /

٩٦ / ١١ ٥٩٩

الترقيم الدولى /

977-08-0562-

هي قصة ذات عروق بعيدة في أغوار الزمن. لست بطلا من أبطالها ولكنني أحب أن أحكيها.. كيف أحكيها وأنا لست واحدا من أبطالها.. هل يهمك كثيرا أن أكون من أبطالها مادمت سأرويها لك.. لن أقول لك أنها من واقع الحياة. فلا أحب أن أكون سخيضا إلى هذا الحد. ولكنني في الواقع لست أدري إن كنت أنت تحب الرواية من واقع الحياة أم من واقع الخيال. يقول الروائيون إن أهم شيء في العمل الفني أن يكون مقنعا ولا يهم من بعد المصدر الذي يصدر عنه. ولكن الحياة حين تؤلف لا تحاول أن تقنع. إنها تؤلف وتنفذ مؤلفها على الحياة وعلى صلات الناس بعضهم ببعض. وعلى بدايات حياتهم وعلى نهايتها ولا يعنيها في شيء أن تكون مقنعة أو غير مقنعة للناس.. الناس جميعا في كل مكان شهود في كل قصة. وأبطال في كل قصة. وقد تلهيهم الأحداث عن محاولة الفهم. وقد يفكرون. والذين يفكرون هم الأغبياء لأنهم لن يبلغوا من تفكيرهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من طمأنينة. بل هم سيزدادون حيرة وقلقا. بل قد يزدادون سخطا وتبرما ولا تعني الحياة في كثير أو قليل بحيرتهم أو قلقهم أو سخطهم أو تبرمهم.

